مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية
المجلد 39- العدد 4 (2023) 120-152

Damascus university Journal for engineering sciences
Vol 39 No.4 (2023) : 120-152

"تثقيف" المدينة: من التنافسية العالمية إلى التنمية المكانية المحلية

رلى أبو خاطر[1]، أ.د. زياد المهنا[2]، أ.د. ناتاليا عطفة[3]

[1]باحثة قيد الدكتوراه- مدير أعمال- قسم التصميم المعماري- كلية العمارة- جامعة دمشق.

[2]دكتور - قسم التصميم المعماري- كلية العمارة- جامعة دمشق.

[3]دكتور - قسم التصميم المعماري- كلية العمارة- جامعة دمشق.

الملخص

مع تزايد التنافس بين المدن والبحث عن التميّز والتفرد لاكتساب مكان بين المدن العالمية وجذب الاستثمارات والسياحة، أصبحت الثقافة أداة للتنمية، مما فرض على المدن تحوّلات وسياسات مكانية جديدة. وقد استغلّت المدن تنظيم الأحداث الثقافية الضخمة، كأداة لتعزيز مكانتها العالمية والإنعاش الاقتصادي، ولتحفيز القطاع الثقافي. يركّز البحث على الحدث الثقافي الخاص بالمدن الأوروبية "عاصمة الثقافة الأوروبية" التي تهدف إلى تعزيز مساهمة الثقافة في التنمية بعيدة المدى للمدن. تعود هذه المبادرة إلى عام 1985 وأصبحت واحدة من التظاهرات الثقافية الأكثر شهرةً والأكثر تنافساً في أوروبا. يهدف البحث إلى 1- مناقشة الفرضية بأن المنافسة بين المدن الأوروبية للحصول على لقب عاصمة الثقافة الأوروبية واستضافة الحدث يمكن أن يسهم بنجاح في عملية التنمية المكانية، و2- عرض نتائج التنمية المحلية المختلفة لاستضافة الحدث من خلال دراسة بعض الأمثلة. تعتمد منهجية البحث على مراجعة منشورات المفوضية الأوروبية بالإضافة إلى الدراسات الأكاديمية التي ناقشت هذا الموضوع، تلك التي تعطي استنتاجات عامة لتأثير الحدث، والبعض الآخر الذي يبحث في تأثير استضافة عاصمة الثقافة على التنمية بأبعادها الفيزيائية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة معينة أو أكثر. تمّ اختيار الأمثلة وفق خمسة نماذج من المدن: المدن التي تستجيب للانحدار الصناعي واعادة الهيكلة الاقتصادية، المدن التراثية، المدن ذات الاقتصاد القوي نسبياً، المدن الهامشية جغرافياً و/أو سياسياً، المدن متعددة الثقافات. بعد مناقشة الآثار الإيجابية والسلبية في المجالات المختلفة المكانية الفيزيائية والاقتصادية والاجتماعية، قدّم البحث بعض التوصيات حول فعالية الإدارة الثقافية وضرورة إعادة الإحياء بما يتناسب مع السياق المحلي للمدن التي تسعى لاستضافة أحداث ثقافية مستقبلية بحيث يتم ضمان نتائج إيجابية على المدى البعيد.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، التنمية المكانية، الأحداث الضخمة، عاصمة الثقافة الأوروبية، التخطيط الثقافي، الآثار الفيزيائية والاقتصادية والاجتماعية.

تاريخ الإيداع:2022/2/25
تاريخ القبول:2022/8/29

حقوق النشر: جامعة دمشق -سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص **CC BY-NC-SA 04**

Culturalisation of the city: from Global Competitiveness to Local Spatial Development

Archi. Roula Aboukhater, Prof. Ziad Mouhanna, Prof. Natalia Atfeh

1Researcher - business manager - Architectural Design Department - Faculty of Architecture - Damascus University.

2Doctor - Department of Architectural Design - Faculty of Architecture - University of Damascus.

3Doctor - Department of Architectural Design - Faculty of Architecture - University of Damascus.

Abstract

With increasing competition between cities and the search for distinction and differentiation to gain a place among the world's cities and attract investment and tourism, culture has become a tool for development, forcing new spatial transformations and policies in cities. Cities use the organization of mega cultural events as a tool to strengthen their global standing and economic recovery and to stimulate the cultural sector.

The research focuses, in particular, on the cultural event of the European cities "European Capital of Culture," which aims to enhance the contribution of culture to the long-term development of cities. This initiative dates back to 1985 and has become one of Europe's most popular and competitive cultural events.

The research aims to 1. - Discuss the hypothesis that competition between European cities for the title of European Capital of Culture and hosting the event can successfully contribute to the process of local spatial development, and 2- Present various local development outcomes of hosting the event by studying some examples.

The research methodology relies on a review of the European Commission's publications and academic studies that discuss this topic, those that give general conclusions about the event's impact, and others that examine the impact of hosting the event on one or more particular cities. Examples were selected according to five models of cities: cities responding to industrial decline and economic restructuring, heritage cities, cities with a relatively strong economy, geographically and/or politically marginal cities, and multicultural cities.

After discussing the positive and negative impacts in physical spatial, economic and social domains, the research suggests some recommendations on the effectiveness of cultural management and the need for revitalization according to the local context of the cities seeking to host future cultural events so as to ensure positive long-term results.

Key Words: Culture, Mega Events, European Capital Of Culture, Cultural Planning, Physical Economic And Social Impacts.

Received: 25/5/2022
Accepted: 29/8/2022

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

1- المقدمة

دفعت ضغوط العولمة والمشاكل الناجمة عن إعادة الهيكلة الاقتصادية المدن إلى استخدام الموارد الثقافية في محاولة لإظهار تميزها وتفردها وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وقد شهدت العلاقة بين الديناميكية العمرانية والثقافة المحلية في بدايات القرن الحادي والعشرين تغيّراً جذرياً، مثل اللجوء إلى عرض هذه الثقافة واستثمارها من خلال إبراز المرافق الثقافية والتراث التاريخي والثقافي للمكان، واعتمادها في السياسات المكانية لتحقيق التنمية المكانية (Evans, 2001). وساهم ذلك في اعتماد الثقافة كأداة للتدخّل من أجل إعادة إحياء البنى المعمارية والعمرانية. إن استخدام الثقافة في الوقت الحاضر، كمنتج "سحري" في التسويق العمراني (Vaz, Berenstein, 2006, 245)، يؤدي إلى تطوير و"تثقيف" المدينة culturisation' of the city'، ظهر هذا المصطلح في اللغة الإنكليزية Culturisation، في العقود الأخيرة مع مصطلحات وتعابير جديدة في مجال التصميم العمراني مثل "الأماكن الثقافية"، و"المقاطعات والأحياء الثقافية" و"الأقطاب"، و"التخطيط الثقافي"، و"إعادة الإحياء الثقافي"، و"تثقيف المدينة"، وغيرها كي تؤكد على دور الثقافة في السياسات المكانية:

'cultural territories' and 'places'، 'cultural districts' and 'poles'، 'cultural planning', 'cultural regeneration'، and 'culturalisation of the city", (Vaz, Berenstein, 2006, 242).

ومن خلال نقاش مع عدة باحثين معماريين عرب، تمّ اعتماد ترجمة المصطلح Culturalisation في اللغة العربية بالمصطلح "تثقيف"، وذلك بحسب اقتراح من الأستاذ الجامعي الدكتور نزار الصّياد[1] ويحمل معنى "نمو الثقافة". ويقدّم الأستاذ الدكتور علي عبد الرؤوف[2] تعريفاً له بما يلي: "تكثيف الأنشطة والمؤسسات الثقافية في نسيج المدينة، بحيث تمثّل الثقافة السمة الأكبر في شخصيتها".

إن فهم الثقافة والنشاط الثقافي باعتبارهما مصدرين للتنمية المكانية والمجتمعية، بدلاً من كونهما مجرد منتجات ثقافية، بدأ يأخذ باهتمام الدول والمدن في زمن الأزمات الاقتصادية، فالثقافة تفسح المجال أمام إمكانيات عديدة للتنمية بمجالاتها المختلفة من خلال الاستثمار بالموارد الثقافية المحلية المادية واللامادية (Alexa, 2012). وفي الوقت الذي لم يعد فيه الاعتماد على النظم الاقتصادية مضموناً لكي تظل قادرة على المنافسة، تتّجه المدن إلى الاستراتيجيات التي تركّز على مواردها الثقافية المحلية، وتاريخها، وتراثها المعماري، ومواهب ومهارات سكانها وطاقتهم الإبداعية، من أجل المنافسة العالمية.

---

[1] نزار الصياد، مهندس معماري ومخطط ومؤرخ مدن ومصمم عمراني وأستاذ فخري في جامعة كاليفورنيا في بيركلي في كلية التصميم البيئي. حصل على PhD في العمارة عام 1988 من جامعة كاليفورنيا في بيركلي وماجستير في العمارة من معهد ماساشوسيتس للتكنلوجيا عام 1981، يتركز تخصصه في دراسة المدن وأشكالها ومساحاتها العمرانية وتأثيرها على واقعها الاجتماعي والثقافي. له العديد من الكتب حول التراث والهوية والعمارة الإسلامية والسياحة والتقاليد والعمران والتصميم والتاريخ العمراني. وترجمت العديد من كتبه إلى العربية.

[2] علي عبد الرؤوف حاصل على شهادة PhD من جامعة بيركلي في أمريكا مع جامعة القاهرة في مصر، بموضوع الإبداع في العمارة ودوره في تعزيز البيئة المبنية، أستاذ محاضر في العمارة والعمران في جامعة حمد بن خليفة في الدوحة، قطر. له العديد من الأبحاث في مجال النقد المعماري والعمراني، مستشار في الجمعية العالمية لمخططي المدن، ISOCARP.

تكتسب الأحداث الثقافية الضخمة، مثل عواصم الثقافة والمعارض العالمية، أهمية كبيرة وأصبحت أساسية في خطط التنمية والتجديد للعديد من المدن المعاصرة. وقد استغلّت المدن التي تبحث عن ميزة تنافسية في الاقتصاد العالمي تنظيم الأحداث الضخمة، كأداة لتعزيز مكانتها العالمية والإنعاش الاقتصادي، ولتحفيز أسواق الاستهلاك المحلية. وأدى تزايد أهمية الأحداث في عملية الإنتاج والاستهلاك الثقافي إلى قيام بعض المدن باستضافة سلسلة مستمرة من الأحداث وبالترويج لنفسها بوصفها "مدن حافلة بالأحداث" "Eventful cities" (Richards, Palmer, 2010, 2).

يتوجّه هذا البحث للمهتمين بإعادة الإحياء المعماري والعمراني وبعمليات الإدارة الثقافية والتخطيط الثقافي، من حيث صلتهم بقيام الأحداث الثقافية الكبيرة المميزة في المدن ودورها في التنافسية العالمية وما ينتج عنها من آثار على مستوى التنمية المكانية المحلية.

حدود البحث:

يركّز البحث على التأثير التنموي للحدث الثقافي الخاص بـ "عاصمة الثقافة الأوروبية" كأداة لتحقيق التنمية المحلية، ولرغبة المدن في الحصول على مكانة مميّزة ضمن المدن العالمية في زمن التنافس الثقافي والاقتصادي.

إن التنافس بين المدن الأوروبية للحصول على لقب عاصمة الثقافة الأوروبية واستضافة الحدث لا يقتصر على المستوى الأوروبي فحسب بل يتعداه إلى المستوى العالمي في سياق العولمة التي تسود العالم وما يتبعها من سهولة تنقّل الأشخاص والمعلومات وغيرها.

تعود هذه المبادرة إلى عام 1985 وأصبحت واحدة من التظاهرات الثقافية الأكثر شهرةً والأكثر تنافساً في أوروبا. خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، أدى استخدام الثقافة كقناة لتوسيم "المشروع الأوروبي" إلى تعزيز منافسة المدينة الثقافية، مع الاحتفال في الوقت نفسه بالنهضة العمرانية الأوروبية (Evans, 2006, 206). لقد تطوّر مفهوم العاصمة الأوروبية للثقافة من "الأحداث الصيفية التي تُنظَمُ للجمهور المحلي مع القليل من التسويق الدولي إلى المهرجانات التي تستمر لمدة عام والتي تتطلب إنفاقاً تنفيذياً كبيراً، وتوفّر فرصاً كبيرة لإحياء المناطق العمرانية"(Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 515). ويتطلب ذلك أن تقيم كل مدينة مخصّصة، حدثاً ثقافيّاً وفنيّاً ضخماً خلال عام كامل.

لقد خطت البلدان الأوروبية خطوة إلى الأمام عندما بدأت بتشجيع تطوير البحوث والابتكار والموارد البشرية والاقتصاد الثقافي. وأصبحت مدركة لحقيقة أن الثقافة ورأس المال الإبداعي يجب اعتبارهما أولوية في مدنها وكذلك في السياسات المكانية (Fekete, D, Morvay, S., 2020). وقد استفادت المدن من الرؤية المشتركة التنموية لأهداف عاصمة الثقافة الأوروبية، والتزم العديد منهم بتنفيذ هذه الأهداف بالرغم من عدم فوزهم باللقب. ونظراً لكون الحدث ثقافياً، فإن التركيز في التقارير النهائية المتعلقة بتقييم إنجازات هذه الحدث ينصبّ بشكل أساسي على الآثار الثقافية، مثل المشاركة القوية للمواطنين، وتنامي القدرات الثقافية، وتنويع العروض الثقافية، وتعزيز الصورة الدولية للمدن (Chávez, 2021). أضف لذلك، يعتبر تحسين البيئة المبنية وتعزيز التنمية الاقتصادية نتيجة هامة ومرغوب بها عند التقديم للحصول على اللقب واستضافة الحدث.

يعرض البحث في الإطار النظري علاقة الثقافة بالعمران والتنمية المكانية ثم يتطرق إلى دور الأحداث المميزة في تحقيق مكانة ضمن المنافسة العالمية. يقدّم البحث في الإطار التحليلي موجزاً تاريخياً عن بدايات عاصمة الثقافة الأوروبية والتحوّلات التي طرأت عليها وأهدافها. ويعتمد البحث على دراسة عدد من الأمثلة، التي

تم اختيارها وفق منهجية محددة ترتكز على السياق المحلي للمدن، لإظهار نتائج استضافة الحدث على التنمية المكانية المحلية بأبعادها المختلفة (الفيزيائية والاقتصادية والاجتماعية). ويلي ذلك مناقشة النتائج والتأثيرات التنموية المختلفة الإيجابية والسلبية، وأخيراً الخلاصة والتوصيات.

2- أهداف البحث:

يكمن الهدف الأساسي للبحث في مناقشة الفرضية أنّ المنافسة بين المدن الأوروبية للحصول على لقب عاصمة الثقافة الأوروبية واستضافة الحدث يمكن أن يسهم بنجاح في عملية التنمية المكانية المحلية. وهذا يقتضي محاولة فهم ما يعنيه من الناحية العملية أن يتم منح المدن هذا اللقب، والنظر في الآثار المترتبة على هذا الحدث الضخم، مع التركيز على موضوع البعد المكاني الفيزيائي في مجال إعادة الإحياء المعماري والعمراني للمناطق التي تحتاج للتنمية.

وتتمثّل الأهداف المرحلية بما يلي:

- دراسة دور الثقافة في المنافسة العالمية والعمران، وتحليل آلية استخدام الأحداث المميزة والكبيرة العالمية من أجل تحفيز التنمية المحلية،
- عرض معايير تقييم الآثار المختلفة لاستضافة الحدث من قبل المفوضية الأوروبية، والتي تعطي مؤشرات يمكن الاستفادة منها كاستراتيجيات أو آليات عند إقامة أحداث ثقافية أو مؤشرات للتقييم بعد الحدث.
- توضيح الأهداف العامة والخاصة للحدث والواردة في مستندات المفوضية الأوروبية.
- مناقشة وتحديد آثار الفوز بلقب عاصمة الثقافة الأوروبية واستضافة الحدث، مع التركيز على الآثار الفيزيائية المكانية في الأمثلة الواردة في البحث من المدن الحاصلة على هذا اللقب،
- وضع توصيات للمدن التي تسعى إلى استضافة أحداث ثقافية مستقبلية وترك أثار إيجابية على المدى البعيد.

3- منهجية البحث

يتبنى البحث مفهوماً واسعاً للثقافة يركّز على أشكال مختلفة من الإنتاج والاستهلاك الثقافيين، فالثقافة لا تعني فقط الفنون بل هي تتعلق أيضاً **بتجربة حيّة لمكان وزمان معين**، وترتكز على العناصر الثقافية المميزة للمدينة والمجتمع. وبحيث يكون غنى المدينة بالموارد الثقافية وتنوّعها، هما مصدر استراتيجية التنمية المكانية المرتكزة على الثقافة.

يعتمد البحث بشكل أساسي على مراجعة الدراسات الأكاديمية التي ناقشت موضوع دور الأحداث الكبيرة في التنمية. وقد تمّ استخدام عدة مرادفات في اللغة الإنكليزية للبحث عن الموضوع مثل (Mega, Hallmark, Flagship Event). وتنوّعت اختصاصات المراجع مثل: السياسات المكانية، والتصميم المعماري والعمراني، والاقتصاد الثقافي، والتسويق الثقافي والسياحي، والسياسات والتخطيط الثقافي وغيرها. وتمّ البحث في نوعين أساسيين من الدراسات حول عاصمة الثقافة الأوروبية، يركّز البعض منها على استخلاص استنتاجات عامة لتأثير الحدث، والبعض الآخر يبحث في تأثير استضافة عاصمة الثقافة على مدينة معينة أو أكثر. كما تمّ مراجعة منشورات المفوضية الأوروبية مثل الأدلّة حول كيفية تقديم العطاءات وآليات تقييم الحدث والتقارير العامة والخاصة حول الحدث.

اختيار الأمثلة من عواصم الثقافة الأوروبية:

اعتمَدَ اختيار الأمثلة على تصنيف المدن المضيفة للحدث في بحث بعنوان The regenerative impacts of the European City/Capital of Culture events (Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 519 and 520) إلى خمسة

نماذج، مع توخي اختيار مدن من مناطق مختلفة وتلك التي تخدم الهدف، والتي يتوفّر عنها المعلومات الكافية.

تشمل هذه النماذج الخمسة من المدن التي حصلت على اللقب، على الرغم من وجود تداخل في بعض الحالات بين الأنماط المختلفة في نفس المدينة، 1) المدن التي تستجيب للانحدار الصناعي وإعادة الهيكلة الاقتصادية، 2) المدن التراثية، 3) المدن ذات الاقتصاد القوي نسبياً، 4) المدن الهامشية جغرافياً و/أو سياسياً، 5) المدن متعددة الثقافات.

– **المدن التي تستجيب للانحدار الصناعي وإعادة الهيكلة الاقتصادية:** تحتاج هذه المدن إلى تغيير الصورة وقطع الصلة مع الماضي، وكثيراً ما تستخدم حدثاً ثقافياً مثل عاصمة الثقافة الأوروبية من أجل الإعلان عن "الولادة الجديدة". مثل غلاسكو 1990، جنوى 2004، ليل 2004 وليفربول 2008 ومرسيليا 2013 وغيرهم.

– **المدن التراثية:** هذه المدن لها صورة ثقافية راسخة قديمة، ولكنها كانت تُرى أيضاً ثابتة إلى حد ما وغير منفتحة بما فيه الكفاية على الإبداع الفني والاجتماعي والاقتصادي المعاصر مثل سلامنكا Salamanca 2002 وبروج Bruges 2002 وروكلو Wroclaw 2016، وماتيرا Matera 2019 وغيرهم. وتستخدم تسويق المدن لمحاولة إظهار أن عرضهم الثقافي يشمل أكثر من مجرد التراث والتقاليد.

– **المدن ذات الاقتصاد القوي نسبياً، الراغبة في تعزيز وضعها الثقافي:** وهي تهدف إلى تطوير أو التأكيد على بُعدها الثقافي، بالتوازي مع الأنشطة الاقتصادية. تشمل هذه الفئة غراتس Graz 2003 ولينز Linz في التمسا 2009، ولوكسمبورغ Luxembourg 2007، وستافانغر Stavanger في النرويج عام 2008، وبلوفديف Plovdiv 2019 وغيرهم. وبسبب الازدهار الاقتصادي النسبي لهذه المدن، تمكّنت من القيام باستثمارات كبيرة في تعزيز قطاعها الثقافي.

– **المدن الهامشية جغرافياً و/أو سياسياً**، استخدمت مناسبة عاصمة الثقافة الأوروبية للدخول إلى المجال الرئيسي الأوروبي. تهدف استراتيجياتها في كثير من الحالات إلى تشجيع الزوار ووسائط الإعلام على معرفة ثقافتهم واكتشاف المدينة كجزء من أوروبا. توجد جوانب من هذه الاستراتيجيات في كل من العاصمة الأوروبية للثقافة لعام 2011 توركو Turku وتالين Talien، وفي لشبونة Lisbon 1994، وهلسنكي Helsinki 2000، وكورك Cork 2005، وبيك Pecs 2010 وغيرهم وخاصة من المدن الموجودة في الدول التي انضمت حديثاً إلى الاتحاد الأوروبي.

– **المدن متعددة الثقافات:** تهدف إلى تطوير وتدعيم صورتها باعتبارها تحتوي العديد من الثقافات، مع اتخاذ موقف إيجابي إزاء التنوع العرقي والثقافي. ومن الأمثلة على ذلك بروكسل Brussels 2000 وروتردام Rotterdam 2001 ولوكسمبورغ Luxembourg 2007 وإيسن Essen 2010 وكوتسيش Kosice 2013 وغيرهم.

4– الإطار النظري

4–1– الثقافة والعمران

لا تزال القيم الأساسية لبناء المدن ونموّها كالفخر المدني والهويّة الثقافية والاستقلال المحلي تلقى صدىً متزايداً كرد فعل للمشاريع العمرانية ذات الطابع العالمي الموحّد. وفي هذا السياق يوفّر التعبير الثقافي للمدينة فرصةً لتشكيل عالمها الخاص من المعاني والسمات الفريدة المميزة في مواجهة عصر العولمة. نتيجة لذلك، ظهر هناك اهتمامٌ متزايدٌ بدور الفنون والمصادر الثقافية الأوسع في بناء نوعيّة الحياة المتميزة بالخصوصية

المحلية. ويبدو أن التحوّلات العالمية المعاصرة زادت من أهمية التوجّه نحو التركيز على مساهمة الثقافة والمعرفة والتكنولوجيا والابتكار في التقدم الاقتصادي وفي إعادة إحياء المدن.

في الستينيات، نشأ تحوّل هام في النهج الثقافي إلى ما يسمى "تسويق الثقافة" نتيجة هذه العلاقة بين المشاريع العمرانية والاستراتيجية الثقافية والتسويق، حيث يتحوّل كل ما يتصل بالثقافة إلى سلعة قابلة للاستهلاك وكذلك للإنتاج. وفي هذا السياق والتحوّل تصبح الثقافة من الأعمال التي تساهم في التنشيط الاقتصادي للمدينة. وينتج عن ذلك نقطتين أساسيتين فيما يتصل بالعلاقة بين الثقافة والسياسات المكانية: النقطة الأولى تشمل إعادة الإحياء المرتبطة بالذاكرة، والتراث، والاحتياجات المحلية المختلفة، في حين تشمل النقطة الثانية الاستخدام التجاري للثقافة، والعولمة، والمفهوم الاحتفالي والاستعراضي "spectacularisation" للمدينة وللثقافة (Vaz, and Berenstein, 2006, 244).

في العقود الأخيرة، كان هناك العديد من الخطط والمشاريع والمداخلات العمرانية التي تمّ فيها التأكيد على الثقافة والإبداع كعامل رئيسي. تشكّل المشاريع الثقافية الضخمة والمباني الجديدة وبرامج إعادة الإحياء المعماري والعمراني جزءاً حيوياً من استراتيجية التنمية، وتفترض استخدام الثقافة لجذب المقيمين الجدد من المبدعين أو المستثمرين أو لإنشاء تجّمعات للصناعات الثقافية والإبداعية (Bassem, 2019). وهكذا اكتسب البحث عن هويّة المدينة وخصوصيتها الثقافية، دوراً محوريّاً في استراتيجية التنمية العمرانية. وتسعى هذه الاستراتيجيات لتأكيد الاهتمام على خلق صورة جذابة نابعة من ثقافة المدينة (Bonakdar, and Audira, 2020). وبحسب المنظمة العالمية للتعاون الاقتصادي، فإن للثقافة وأنشطتها العديد من المساهمات في التنمية المحلية من خلال دمج الثقافة في السياسات المكانية ويمكن ذكر بعضاً منها (OECD[3], 2018, 22):

- تعزيز الهويّة وإعطاء معنىً لمكانٍ أو مجتمعٍ محدد، وخلق ديناميكيات اجتماعية وتنمية إبداع السكان،
- تحسين البنية المكانية ليصبح أكثر جاذبية للمقيمين أو الزوار أو المبدعين أو المستثمرين، وخلق فرص العمل ورفع القيمة الاقتصادية،
- تحسين نوعية الحياة، وتهيئة بيئة معيشية أفضل، وإعادة إحياء المناطق الصناعية المتداعية، واستخدام المباني المهجورة.

ويمكن، ضمن مجال إدراج الثقافة في السياسات المكانية، تطوير استراتيجيتين رئيسيتين: استراتيجية المدينة الإبداعية أو استراتيجية مدينة التجربة. يشكّل موضوع المدينة الإبداعية المستوحاة من كتابات ريتشارد فلوريدا[4] Richards Florida (2003 and 2011)، حافزاً لسلطات المدينة للبدء في وضع خطط عمرانية وأنظمة تتلخص في تقديم المكان باعتباره جاذباً لكل من السياح المهتمين بالثقافة ولما يسمى "الطبقة الإبداعية". أمّا استراتيجية مدينة التجربة فعادةً ما يتم تطويرها من قِبَل المدن التي تسعى لاستضافة الأحداث المميزة، وتشمل التجاربُ المناسبات، والأنشطة مثل التسوق، والأنشطة الرياضية

[3] Organization for Economic Co-operation and Development منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية كما تعرف اختصاراً OECD هي منظمة دولية تهدف إلى التنمية الاقتصادية وإلى إنعاش التبادلات التجارية.

[4] اشتهر ريتشارد فلوريدا بعمله في تطوير مفهومه للطبقة الإبداعية، وتداعياته في التجديد العمراني. هو محلل اقتصادي وأحد منظري الدراسات العمرانية الأمريكية يركز على النظرية الاجتماعية والاقتصادية. حصل على درجة الدكتوراة من جامعة كولومبيا في عام 1986.

والفنية، والخدمات، ومراكز الاستجمام، وصالات العرض الفنية والمسارح، أو أماكن مختلفة تستضيف أنشطة متنوعة مثل الحدائق الترفيهية، والمتاحف وغير ذلك (Bassem, 2019). وتسمح مشاركة المواطنين في هذه الفعاليات في رفع مستوى الحياة والشعور بالفخر.

4 -2 - الأحداث المميزة والتنمية المحلية

هناك صلة واضحة بين الأحداث الثقافية الضخمة والتنمية المحلية، والتي أبرزها عدد من المؤلفين (Hall, 2000 and Pearce, 2001). استخدم صانعو السياسات، في سياق المنافسة المتنامية بين المدن وفي ظل اقتصاد العولمة، الأحداث الثقافية الضخمة والتمويل الخاص بها من أجل تحقيق التنمية المكانية المحلية. ويشمل ذلك محاولة تحسين صورة المدن والبيئة المبنية وإنشاء وسائل نقل جديدة وغيرها من البنية الأساسية وتنشيط الاقتصادات المحلية وتحسين نوعية الحياة. وبحسب غريغ ريتشاردز[5] وجولي ويلسون[6] Richards, and Wilson، فإن "المدن استخدمت منذ أمد بعيد أحداثاً ضخمة مثل المعارض العالمية، والأحداث الرياضية كوسيلة لتنشيط اقتصادها، وإنشاء البنى التحتية الأساسية، وتحسين صورتها" (Richards, and Wilson 2004, 1931). وتسعى المدن لتنظيم مثل هذه الأحداث وكذلك المهرجانات المحلية، لتعزيز تقدير السكان للماضي الثقافي للمدينة أو لعرض إمكانات المكان للإبداع الثقافي والإنتاج الثقافي المعاصر والتوجّهات نحو المستقبل.

تساهم المعارض العالمية والمهرجانات والكرنفالات مثل كرنفال فينيسيا والأحداث الرياضية مثل الألعاب الأولمبية الصيفية والشتوية، والثقافية مثل عواصم الثقافة الأوروبية والعربية، والدينية والتاريخية والتجارية والزراعية والسياسية وغيرها، في تركيز الاهتمام على مدينة أو مكان معين ووضعها في سلم المنافسة العالمية. وتسعى المدن إلى تعزيز ذلك مكانياً وبصريّاً من خلال المباني ذات التصميم المعماري المميز والتي تكون بمثابة رمز مادي إلى الموقع أو موضوع الحدث. ويساهم ذلك في التنمية المحلية وفي تحديد موضعٍ للمدينة ضمن المنافسات العالمية بين المدن لجذب الاستثمارات وتعزيز السياحة.

يمكن لهذه الأحداث المميزة أن تتكرر سنوياً بحيث تُطوّر طابعها وتَنمّي سمعتها على مدى عدد من السنوات. بينما تحصل أحداث أخرى مرة واحدة فقط. ويمكن للمدينة أن تختار الأنشطة المناسبة والاستراتيجيات التي ترتبط بفعاليات محددة. يعتمد نجاح الحدث على القدرة التنظيمية للمسؤولين في استضافة الحدث ومدى ارتباطه بالسياق المحلي. ورغم المبالغة في تقدير الفوائد المترتبة على الأحداث المميزة بالنسبة للاقتصاد المحلي، فإنّ تأثيرها على الصورة المحلية والتنمية المكانية يكون كبيراً. ومن الأحداث المعروفة التي تتكرر في المدن يمكن ذكر المهرجان السينمائي السنوي في مدينة كان الفرنسية، أو أسبوع كوبنهاغن للموضة، ويمكن أن تستضيف المدينة سلسلة من الأحداث السنوية مثل اجتماعات المنتدى

[5] جريج ريتشاردز أستاذ في جامعة بريدا للعلوم التطبيقية وأستاذ الدراسات الترفيهية في جامعة تيلبورغ في هولندا .عمل في مشاريع للعديد من الحكومات الوطنية ومنظمات السياحة الوطنية والبلديات، ولديه خبرة واسعة في أبحاث صناعة الأماكن والأحداث والسياحة والتعليم، مع مناصب سابقة في المملكة المتحدة وإسبانيا. تتركز اهتماماته البحثية الحالية على الاستخدام الإبداعي من أجل التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

[6] جولي ويلسون حاصلة على درجة الدكتوراه في الجغرافيا البشرية من جامعة بريستول، المملكة المتحدة . أستاذة مشاركة في مجال الاقتصاد ودراسات الأعمال والسياحة والاستدامة في جامعة أوهايو. عضوًا نشطًا في مجموعة أبحاث التحليل المكاني ودراسات السياحة (GRATET) التابعة للحكومة الإقليمية الكتالونية.

الاقتصادي العالمي Wold Economic Forum Annual في مدينة دافوس في سويسرا. ويعتبر استضافة الألعاب الأولمبية الصيفية في برشلونة (1992)، والأحداث المرافقة لعاصمة الثقافة الأوروبية في مدينة ليل عام 2004 من الأمثلة الجيدة للأحداث الضخمة التي جرت مرة واحدة والتي ساهمت في بناء صورة فعّالة للمدينة (Hospers, 2011, 30).

تسترعي استضافةُ الأحداث الهامة على الصعيد العالمي الانتباهَ إلى المكان وتؤثّر على فكرة الناس عن المدينة، كما توفّر فرصةً للمدينة المضيفة لعرض مواطن تفردها وتأكيد هويّتها الثقافية. وتعتبر المشاركة في الأحداث تجربةً تجمع بين الجمهور والمشاركين ومنظمي الحدث. يتمثّل أحد الآثار الهامة في تجديد فخر المواطنين وحماس المجتمع المحلي لمدينتهم (Evans, 2015) والذي ينجم عن تعزيز أهمية المدينة على المستوى العالمي عند نجاح الحدث. وترافق هذه الأحداث عادة آثاراً على المستوى المكاني المحلي، مثل إنشاء المرافق الجديدة التي تُشَيَّد كجزء من مشروع استضافة هذه الأحداث، فضلاً عن تحسين البنى التحتية المحلية التي ربما لم تكن ممكنة سياسياً أو مالياً لولا هذا الحدث، ولعل أشهر مثال هو برج إيفل الذي شُيّد في المعرض العالمي في باريس عام 1889، والذي أصبح فيما بعد من أشهر الرموز لمدينة باريس. كثيراً ما تستند رعاية واستضافة المناسبات المميزة إلى افتراض أن الحدث يؤدي إلى تعزيز الهويّة الثقافية للمدينة المضيفة وتحسين صورتها اعتماداً على ميزاتها الفريدة، كما تساهم هذه الأحداث في إضافة الحيوية إلى شوارع المدينة والترويج السياحي والتجاري على حد سواء.

ينتج عن الأحداث المميزة العديد من الآثار التنموية المحلية في المدن، وهي لا تشمل النتائج الاقتصادية فحسب، بل أيضاً الآثار المكانية الفيزيائية والاجتماعية والثقافية وكذلك السياسية.

وبحسب إيفانز[7] Evans (2005) هناك بيانات ودلائل إحصائية كثيرة تتعلق بالأبعاد الاقتصادية لاستضافة الأحداث المميزة، أما المؤشرات والأدلة المتاحة بشأن الجوانب الاجتماعية فقليلة جداً. وقد يكون لهذه الأحداث نتائج إيجابية و/ أو سلبية نتيجة لأسباب مختلفة. إن استضافة الأحداث الثقافية الضخمة له تأثير إيجابي في تعزيز المناخ الثقافي والإبداعي الفعّال وتفعيل الاستثمار الإبداعي ودعم الفنانين لتطوير الابتكارات وجذب الأفكار ورعاية الفن والإبداع المحلي من خلال إنشاء الحاضنات والمؤسسات والمرافق الثقافية في الأماكن التي تعاني من التهميش الثقافي (Ghilardi, 2017). وبالمقابل، ناقش عددٌ من الباحثين (Evans 2001 and Burbank et al. 2002)، التأثيرات السلبية للأحداث الثقافية الضخمة والتغيّرات في المدن المضيفة، حيث يمكن أن تساهم هذه الأحداث في كثير من الأحيان في عمليات تغيير السكان وفي إضفاء الطابع السلعي والتجاري على الفضاء العام.

5- الإطار التحليلي:

عاصمة الثقافة الأوروبية

يتضمن هذا القسم التعريف بكيفية ظهور مبادرة «عاصمة الثقافة الأوروبية»، وأهدافها التأسيسية، والتغييرات التي مرت بها والمؤشرات التي يتم اعتمادها للتقييم من قبل المفوضية الأوروبية.

[7] غريمي إيفانز: أستاذ في الثقافات العمرانية والتصميم في كلية الفنون والتصميم، جامعة ميدلسيكس Middlesex . كما يشغل منصب أستاذ ذو كرسي في الثقافة والتنمية العمرانية في جامعة ماستريخت Maastricht في هولندا. مستشار في استراتيجيات الصناعات والمدن الإبداعية وفي التخطيط الثقافي وإعادة الإحياء العمراني.

5-1- تاريخ مبادرة عاصمة الثقافة الأوروبية

في تشرين الثاني 1983، أُطلقَتْ فكرة تنظيم حدث سنوي بعنوان "مدينة الثقافة الأوروبية" في اجتماع غير رسمي لوزراء الثقافة في المجموعة الأوروبية، وكان الهدف تشجيع التعاون الثقافي والتبادل في أوروبا لتعزيز الوعي والهويّة الأوروبية وتحفيز التعاون الأوروبي إلى ما هو أبعد من المجال الاقتصادي (European Commission Website). وهكذا أُحدثَتْ "مدينة الثقافة الأوروبية" كبرنامج للمعارض والأفلام والعروض الموسيقية والمسرحية والمؤتمرات ومشاريع الفنون المجتمعية، وأنواع أخرى كثيرة من الأنشطة الثقافية. اعتباراً من عام 2001، تغيّر اسم الحدث ليصبح "عاصمة الثقافة الأوروبية" وأصبح بمثابة عمل جماعي للاتحاد الأوروبي (Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 516).

لا يكون اختيار المدن عشوائياً للمشاركة، ولكن يتم اختيار تلك التي تقدم أفضل استراتيجية ثقافية وتنموية. حتى عام 2022، مُنحَتْ حوالي 70 مدينة في جميع أنحاء أوروبا لقب عاصمة الثقافة الأوروبية. تمّ بين عامي 1985 و1999 تسمية خمس عشرة مدينة كعاصمة أوروبية للثقافة. كانت الخمس الأول (أثينا، وفلورنسا، وأمستردام، وبرلين الغربية، وباريس). وكان لديهم جميعاً، قبل تسميتهم عاصمة الثقافة الأوروبية، موارد تراثية ضخمة وعدد كبير من الفنانين والمتاحف الهامة المدعومة، وغيرها من المؤسسات الفنية والمهرجانات والسمعة الدولية كمقصد للسياحة الثقافية، ومجموعات الصناعات الثقافية التجارية. وكان لقب عاصمة الثقافة الأوروبية تأكيداً لمكانتهم الثقافية العالية أكثر من كونه الدافع إلى التأثيرات التجديدية التنموية الكبيرة (Bianchini, Albano and Bollo, 2013). أما العاصمة الأوروبية السادسة للثقافة، مدينة غلاسكو الإسكتلندية 1990، على عكس المدن الخمسة التي سبقتها، لم يكن لها سمعة دولية كمدينة للفنون والتراث، فاستفادت من الحدث في تموضعها كمدينة ثقافية متميزة. مؤخّراً، تمّ اختيار عواصم الثقافة الأوروبية التالية:

Rijka (Croatia) & Galway (Ireland) 2020 – 2021, Kaunas (Lithuania) & Esch-sur-Alzette (Luxembourg) & Novi Sad (Serbia), Eleusis (Greece) &Timişoara (Romania) &Veszprém (Hungary) 2023, Bad Ischl (Austria) &Tartu (Estonia) & Bodø (Norway) 2024, Chemnitz (Germany) & Nova Gorica (Slovenia) & Gorizia (Italy) 2025, Oulu (Finland) & Trenčín (Slovakia) 2026, Liepāja (Latavia) 2027.

تبدأ المنافسة قبل ست سنوات من السنة الرسمية المحددة للحدث. عند تقديم العطاءات، يجب أن تفي المدن بالعديد من المتطلبات، مثل وجود استراتيجية ثقافية مرتبطة باستراتيجية تنموية للمدينة. بعد عملية الاختيار التي تستمر لمدة عامين، يكون لدى الفائزين أربع سنوات للاستعداد لتنفيذ البرنامج (Chávez, 2021).

يمكن تقسيم توسّع الإطار التشغيلي والتشريعي لبرنامج عاصمة الثقافة الأوروبية إلى عدة مراحل ازدادت خلالها أهمية البرنامج من خلال إدراجه في البرامج الثقافية الرئيسية للاتحاد الأوروبي، وتمّ توضيح وتعزيز عمليات الاختيار والرصد والتقييم، وأصبح عملاً جماعياً بمعايير رسمية للبعد الأوروبي. في عام 2013 تمّ تحديث الإطار التشريعي وتمديد الحدث للمرحلة (2020–2033) من قبل البرلمان الأوروبي ومجلس الوزراء والمفوضية الأوروبية (Garcia, Cox, 2013)، مع التأكيد على حماية وترويج تنوّع الثقافات الأوروبية، وتسليط الضوء على السمات المشتركة التي تشترك فيها، بالإضافة إلى تعزيز مساهمة الثقافة في التنمية بعيدة المدى للمدن.

حدثت بعض التغيّرات الأساسية في البرنامج: **أولاً**، تغيُّر في الطموح والأهداف من التأكيد على الثروة الثقافية

والتنوع في مدن أوروبا وتراثها الثقافي المشترك، إلى التأثير المحتمل على الاقتصاد الإقليمي (Garcia and Cox, 2013). ثانياً، تغيُّر في الخصائص الجغرافية – السياسية والديموغرافية للمدن المضيفة، حيث نَظّمَتْ المدن الصغيرة البرنامج بشكل متزايد. واتجهت المدن بصورة متزايدة إلى إشراك المناطق المحيطة بها، وتحوّلَ البرنامج تدريجياً إلى برنامج إقليمي، كما في حالة مدينة إيسن Essen من خلال إشراك منطقة الرور Rhur بأكملها في هذه العملية (Fox and Rampton, 2019). ثالثاً، تغيُّر في تمويل البرنامج في الجولة (2020–2033)، حيث أصبحت عملية المراقبة أكثر صرامة ويتم منح التمويل بالكامل للمدينة في نهاية الحدث لضمان تنفيذ المدينة لالتزاماتها. رابعاً، حدث تغيُّر في عملية التقييم حيث تطلب المفوضية الأوروبية تقييماً منهجياً دورياً للبرنامج (Nermond, Lee and O'Brien. 2021) وتشدد على ضرورة إدماج الحدث في استراتيجية موسعة.

5–2– أهداف عاصمة الثقافة الأوروبية:

تدعو المفوضية الأوروبية إلى مجموعة من الأهداف العامة والخاصة والتي تأمل المدن بتحقيقها من خلال تطوير استراتيجية ثقافية واضحة تضمن تحقيق هذه الأهداف (European Commission, 2018, 7). ويجري تقييم الحدث من خلال مؤشرات إرشادية كميّة ونوعيّة ترتبط بالأهداف التنفيذية.

الأهداف العامة

- حماية وتعزيز تنوع الثقافات في أوروبا، وتسليط الضوء على السمات المشتركة التي تشترك فيها، وزيادة شعور المواطنين بالانتماء إلى فضاء ثقافي مشترك،
- تعزيز مساهمة الثقافة في التنمية بعيدة المدى للمدن.

الأهداف الخاصة

- تعزيز نطاق العرض الثقافي في المدن وتنوعه وبعده الأوروبي، من خلال التعاون عبر الوطني،
- توسيع نطاق الوصول إلى الثقافة والمشاركة فيها،
- تعزيز قدرة القطاع الثقافي وصلاته بالقطاعات الأخرى،
- رفع المستوى الدولي للمدن من خلال الثقافة.

الأهداف التنفيذية

- تحفيز برامج ثقافية واسعة النطاق ذات نوعية فنية عالية،
- ضمان تميّز البرامج الثقافية ببعد أوروبي قوي وبتعاون عابر للحدود الوطنية،
- إشراك طائفة واسعة من المواطنين وأصحاب المصلحة في إعداد وتنفيذ البرنامج الثقافي،
- خلق فرص جديدة لمجموعة واسعة من المواطنين لحضور المناسبات الثقافية أو المشاركة فيها،
- تحسين الهياكل الأساسية الثقافية،
- تنمية مهارات القطاع الثقافي وقدراته وإدارته،
- تحفيز الشراكة والتعاون مع القطاعات الأخرى،
- تعزيز تسويق وترويج المدينة وبرنامجها الثقافي،
- تحسين توقعات المقيمين للعلاقات الدولية بين البلدان.

5–3–المؤشرات الإرشادية ومعايير التقييم:

هناك عدد من الدراسات والتقارير التي تناولت معايير التقييم. ويمكن ذكر بعضاً منها بما يسهم بفهم أوضح لآثار الحصول على هذا اللقب وكيفية تنفيذ الاستراتيجية المعلن عنها من قبل المدن. وأهمها المعايير التي تعتمدها المفوضية الأوروبية إنّ المدن التي تحمل اللقب مدعوّة إلى استخدام المؤشرات الأساسية المشتركة الواردة في الجدول 1، عند إجراء تقييم كل منها (European Commission, 2018, 8 and 9). وتتوافق هذه المؤشرات مع الأهداف العامة والمحددة لهذا الحدث وتستند إلى المعايير المتعلقة بتقييم طلبات المدن التي تقدم عطاءات للحصول على

اللقب. يعتمد التقييم على عكس جوهر الأهداف العامة من خلال المعلومات الكميّة كلما أمكن ذلك، والتي يتم الحصول عليها من مصادر مختلفة.

الجدول (1) أهداف ومعايير عاصمة الثقافة الأوروبية والمؤشرات الإرشادية

الأهداف العامة	المؤشرات الإرشادية
حماية وتعزيز تنوع الثقافات في أوروبا، وتسليط الضوء على السمات المشتركة التي تشترك فيها، وزيادة شعور المواطنين بالانتماء إلى فضاء ثقافي مشترك	زيادة المعرفة بالثقافات الأوروبية
	زيادة إحساس المواطنين بالانتماء إلى فضاء ثقافي مشترك
	زيادة وعي المواطنين وتقديرهم لتنوع الثقافات الأوروبية
	زيادة مشاركة المواطنين في المشاريع متعددة الثقافات
	زيادة المهارات في التراث الأوروبي غير المادي (الفنون والحرف)
	زيادة عدد المبادرات الثقافية التي تربط بين التراث والابتكار
	زيادة الاستثمار الملموس في البنية التحتية للتراث الثقافي
	تنوّع المواضيع الأوروبية (في البرنامج وفي وسائط الإعلام)
	تنوّع المنطقة الجغرافية المشمولة بالبرنامج الفني
تعزيز مساهمة الثقافة في التنمية بعيدة المدى للمدن	الاعتراف الوطني/الدولي بالمدن باعتبارها حيوية ثقافياً وذات صورة جيدة
	زيادة الناتج المحلي الإجمالي والعمالة في القطاعات الثقافية والإبداعية للمدن
	زيادة توافر مساحة ميسورة للإنتاج الثقافي (استوديوهات وما إلى ذلك)
	نوعية وكمية الوثائق والسياسات الاستراتيجية بعيدة المدى
	استخدام جديد للمساحات غير المستخدمة وتطوير مساحات عامة جديدة
	مدى مشاركة الهيئات المرجعية للقطاع المدني العاملة مع البلدية (عدد الاجتماعات وعدد المنظمات المشاركة)
	وضع الاستراتيجية الثقافية للمدينة وخطط تنفيذها
	عدد القرارات التي اتخذتها البلدية بالتشاور مع القطاع الثقافي والمدني ومدى زيادة ميزانية الأنشطة الثقافية

تتلخص التأثيرات الأساسية التي وردت في تقرير تقييم برنامج عاصمة الثقافة الأوروبية بحسب دراسة (Nermond, Lee and O'Brien, 2021)، في التأثيرات الناتجة عن الحدث في الأبعاد المختلفة للتنمية كما يلي: تتحقق **التنمية الاقتصادية** من خلال تحفيز السياحة وتأمين فرص عمل في القطاع الثقافي وتطوير الصناعات الثقافية والإبداعية، ويتمثّل **البعد الاجتماعي** من خلال مشاركة المجتمع المحلي والفرق الفنية والثقافية المختلفة وأصحاب المصلحة من القطاع العام والخاص، أما **البعد الفيزيائي** فيتمثّل بإعادة الإحياء العمراني وبناء وتجديد البنى المعمارية الثقافية، وأخيراً يتحقق **البعد الثقافي** من خلال تنمية القطاع الثقافي والتعليم والرياضة وغيرهم.

كما أدت دراسة بياتريس غارسيا[8] وتامسين كوكس[9] Garcia and Cox (2013) حول عاصمة الثقافة الأوروبية، إلى تحديد عدد من المجالات العامة للتأثير، ويتضمن كل مجال سلسلة من المواضيع الفرعية والمعايير

[8] ساهمت بياتريس عارسيا في طليعة المناقشات حول التجديد العمراني المرتكز على الثقافة منذ عام 1999. كان لعملها الرائد في التأثير الثقافي للأحداث الضخمة أثراً في استراتيجيات العديد من المدن. متخصصة في سياسة الاتصالات الدولية وتسويق المدن ومجال أبحاث السياسة الثقافية. تدرس في جامعة ليفربول ومديرة مساعدة لمركز القيم الثقافية ومستشارة في المفوضية الأوروبية وعضو في لجنة اختيار عاصمة الثقافة الأوروبية.

[9] تشمل اهتمامات تامسين كوكس البحثية الأكاديمية والمهنية: الطرق المختلفة للمعرفة، وتقييم البرامج الثقافية الواسعة النطاق والمناسبات الضخمة مثل برنامج غلاسكو الثقافي لعام 2014، والدراسات النقدية لدور الفنون والثقافة في التجديد العمراني.

الإرشادية من أجل تحديد أنسب لمؤشرات الأداء لتقييم الأثر الفعلي والآثار بعيدة المدى:

الآثار الثقافية وصورة المدينة

– النظام الثقافي للمدينة: تشمل المواضيع الفرعية للتقييم: معلومات عن القطاع الثقافي والإبداعي للمدينة المضيفة (عدد ونوع المنظمات والمرافق)، واستدامة النظام (مثل تنمية المهارات في القطاع الثقافي)، المساهمات المادية للاتحاد الأوروبي (مثل الاستثمار المباشر أو تمويل النظام الثقافي للمدينة) ومساهمة المؤسسات الأخرى ذات الصلة في الاقتصاد الإبداعي للمنطقة (Garcia and Cox, 2013, 12).

– الصورة والإحساس بالمكان: تشمل المواضيع الفرعية: إعادة تحديد موقع المدينة المضيفة قبل وبعد اللقب، وتغيّر المعاني المرتبطة بالمدينة من قبل مجتمعاتها المحلية المتنوعة، وتغيّر تصوّرات الزوار والسيّاح للمدينة، وتقييم الاختلاف في معنى الهويّة والثقة بالنفس للمجتمعات المحلية قبل وبعد استضافة الحدث (Garcia and Cox, 2013, 12).

الآثار الاقتصادية والمكانية الفيزيائية

– الآثار والعمليات الاقتصادية: تشمل المواضيع الفرعية التأثيرات على الاستثمار الداخلي، والسياحة والعمالة وإيجاد فرص العمل، وقوة ونوعية قطاع الأعمال المحلي.

– التطوير المكاني الفيزيائي: تشمل المواضيع الفرعية التأثيرات على الجمهور، والبيئة التراثية، ونوعية ونوع البنية التحتية الفيزيائية للثقافة (البيئة المبنية، والأماكن، والمتنزهات، والفن العام)، ومسائل الوصولية (النقل، مواقف السيارات)، والاستدامة البيئية للبرنامج (Garcia and Cox, 2013, 13).

الآثار الاجتماعية

– المشاركة العامة والتمثيل: تشمل المواضيع الفرعية بيانات جغرافية عن المشاركين وغير المشاركين في الأنشطة الثقافية وإمكانية الحصول على فرص المشاركة الثقافية. ويستكشف تواجد ثقافات فرعية معينة والتجارب والقيم الثقافية وأسباب المشاركة أو أسباب عدمها. وينظرُ في أثر المشاركة المباشرة أو غير المباشرة، والقيمة المضافة للمشاركة من أجل رفاه الناس ونوعية حياتهم (Garcia and Cox, 2013, 13).

الآثار على السياسة والسياسات

– فلسفة العملية وإدارتها: يعكس هذا الموضوع آثار سيرورة العمل وفلسفته التي تقوم عليها إدارة اللجنة، وآثارها السياسية والتنظيمية على المدينة المضيفة، على الصعيدين الوطني والأوروبي (Garcia and Cox, 2013, 12).

6– الأمثلة: الفرص والتحديّات

تستحق العديد من تجارب المدن التي حازت على اللقب ضمن مسابقة عاصمة الثقافة الأوروبية دراستها وتحليلها من أجل معرفة تأثيراتها ونتائجها على المستوى الفيزيائي المكاني والاقتصادي والاجتماعي. تركّز معظم الدراسات التحليلية والوثائق الأكاديمية التي تتناول تقييم أبعاد الحدث بشكل أساسي على الجوانب الفيزيائية والاقتصادية، وبدرجة أقل، على الجوانب الاجتماعية. بينما تركّز معظم الوثائق السياسية من الاتحاد الأوروبي والتقارير التي تطلبها المفوضية الأوروبية حول البعد الثقافي والأوروبي. يركّز هذا القسم على توشيج التحوّلات الفيزيائية المكانية، على وجه الخصوص، في المدن التي تمّ اختيارها من ضمن الأنماط الخمسة المحددة سابقاً ضمن منهجية البحث. وتشير الصور والأشكال الخاصة بكل مدينة إلى التحوّلات في البنى المعمارية والعمرانية، سواء أبنية جديدة أُنشئَتْ بمناسبة استضافة الحدث أو ترميم وإعادة استخدام لأبنية قائمة أو لعرض ميزات المدينة التي تم الاستناد عليها عند تقديم العطاءات للحصول على اللقب.

6-1- المدن التي تستجيب للانحدار الصناعي وإعادة الهيكلة الاقتصادية:

مدينة جنوى (إيطاليا) Genoa

كان التركيز في حالة جنوى عاصمة للثقافة 2004، على تجديد صورة المدينة وتحسين صورتها على المستوى العالمي والوطني. استخدم الترويج للحدث اسم المدينة مع التحوير في الكلمات ليعبر عن "جنوى الجديدة" "GeNova" التي تنتظر زوارها (Zachary, 2020).

واعتمدت الفكرة الأساسية على بناء صورة مدينة متعددة الأوجه، حيث تتعايش الهويّة الصناعية القديمة المتجددة مع الهويّة الثقافية الجديدة (Sacco and Tavano Blessi, 2007) وحيث تشمل الثقافة أبعاداً واسعة نسبياً، مثل العلم والتكنولوجيا والرياضة والترفيه. يتركّز الهدف في رفع المستوى الثقافي للمدينة على الصعيدين الوطني والدولي من أجل جعل جنوى واحدة من المدن الثقافية المعترف بها وطنياً ووجهة هامة للسياحة الثقافية (Bianchini, Albano and Bollo, 2013) .

ركّزت المدينة على تحقيق التنمية الثقافية من خلال تجديد عمراني ينصبّ على المرافق الأساسية ومن خلال تأهيل وترميم العديد من المباني التاريخية والمتاحف وتحسين الشوارع ضمن مشروع "الشوارع الجديدة" كما في شارع غاريبالدي Via Garibaldi (الصورة 1) وشارع بالبي Via Balbi وأجزاء أخرى من المركز التاريخي للمدينة. وتمّ تحسين العلاقة بين المركز التاريخي والواجهة البحرية، وشمل ذلك افتتاح متحف غالاتا Galata Museum of the Sea، وإنشاء وجهة ترفيهية وثقافية بعد هدم صوامع الحبوب القديمة في بونتي بارودي Ponte Parodi، وهو رصيف على الميناء القديم. وقد ساهم إنشاء ساحة جديدة عالية الجودة في دمج الواجهة البحرية، مع متحف الحوض المائي aquarium، وكلية الاقتصاد. وساهم الحدث في ترميم العديد من واجهات المدينة المرسومة، كما في قصور روللي Rolli، وإعادة رصف العديد من الشوارع للمشاة (Zachary, 2020) في نظام متكامل يتناسب مع بقية المدينة. وتتجلّى النتائج بعيدة المدى في تحديد المركز التاريخي للمدينة (الصورة 2) كموقع للتراث العالمي لليونسكو عام 2006.

اعتمد برنامج الأنشطة بشكل أساسي على الفعاليات والأحداث الكبيرة المؤقتة، وتمّ تنفيذ البرنامج من خلال نهج تشاركي إلى حد كبير، تركّز على دمج اقتراحات مئات الجمعيات المحلية في جزء من البرنامج الرسمي. وخلال سنة الحدث، بلغ عدد الأنشطة 439 نشاطاً وعدد الحضور 2.835.960 شخصاً (Zachary, 2020)

الصورة (1) تحسين الفراغات العامة مثل شارع غاريبالدي.

المصدر 1

الصورة (2) تمثّل المناطق المخططة الرمادية مناطق التجديد – الخط المستمر لحدود منطقة موقع التراث العالمي – الخط المتقطع لحدود منطقة الحماية. المصدر 2

مدينة ليل (فرنسا) Lille

تعتبر حالة مدينة ليل 2004 مميزة نظراً لطبيعة استراتيجية إعادة الأحياء على المدى البعيد. وكانت مبتكرة من حيث التوجّه العالمي لاستراتيجيتها الثقافية، فربطت

المدينة بالصين والهند والاقتصادات الناشئة من مختلف أنحاء العالم (Bianchini, Albano and Bollo, 2013). وتمّ الحفاظ على الزخم الذي ولّدته استضافة العاصمة الأوروبية للثقافة من خلال إنشاء برنامج يدعى (ليل 3000)، يركّز هذا البرنامج الذي استمر بعد الحدث على "الرؤى المتعددة للمستقبل" (Lille 3000, 2012)

يتألف ببرنامج التجديد المكاني الفيزيائي من العناصر التالية: تجديد المباني التاريخية وترميمها لإعادة استخدامها كقصر ريهور، مصح كومتيس (الصورة 3) وقصر رامو (الصورة 4) والعديد من الكنائس (Palais Rihour, Hospice Comtesse, Palais Rameau). وإنشاء أماكن عامة جديدة (الرامبلاس Ramblas وتأهيل الساحات العامة لاستقبال الاحتفالات والنشاطات الفنية (الصورة 5) وتنظيم منتزه مساحته 650 هكتاراً على طول نهر ديول (Deûle) (Sacco, and Tavano Blessi, 2007)

شمل البرنامج تحسين الوصولية إلى الأنشطة الثقافية في المواقع اللامركزية في جميع أنحاء العاصمة من خلال إنشاء اثني عشر مركزاً شعبياً للثقافة (Maison Folies)، تُستخدَم كأماكن للعمل الفني المهني، وللجمعيات والمبادرات الثقافية التي يقوم بها السكان المحليون (الصورة 6). يعتبر استضافة عاصمة الثقافة الأوروبية في مدينة ليل عام 2004 من الأمثلة الجيدة على الأحداث الضخمة التي جرت مرة واحدة والتي ساهمت في بناء صورة فعّالة للمدينة وفي التأكيد على أهمية التوزّع الجغرافي للثقافة ضمن المدينة.

الصورة (3) تأهيل متحف مصح كومتيس. المصدر 3

الصورة (4) ترميم قصر رامو للمعارض. المصدر 4

الصورة (5) تأهيل الساحات العامة لحفل الافتتاح. المصدر 5

الصورة (6) أنشاء مراكز ثقافية صغيرة موزعة في المدينة. المصدر 6

6-2- المدن التراثية:

مدينة بروج (بلجيكا) Bruges

هناك محاولات لتحديث صورة وهوية المدن التاريخية إلى مدن "إبداعية" نظراً لأن التراث لا يشكّل سوى جزءاً صغيراً من البيئة المبنية والاقتصاد المحلي. لكنْ من الممكن أن يؤدي هذا إلى ردة فعل عكسيّة من قبل السكان المقيمين كما حدث في مدينة بروج كعاصمة الثقافة الأوروبية عام 2002، حيث نشأ صراع واضح أثناء تطوير برنامج الحدث بين تحديد هوية المدينة التاريخية بالنسبة إلى السكان المقيمين من جهة وبين السائحين والزوار من جهة أخرى، مع العلم أن الطابع التاريخي

الخاص للمدينة كان السبب في الفوز في المنافسة كعاصمة الثقافة، وحافزاً على تغيير صورة المدينة ومكانتها الثقافية كمكان عالمي تنافسي (Evans, 2015).

يعتمد تطوير الصورة البصرية للمدن التي تصنف تاريخية أو أثرية على المخزون التاريخي والمواقع التراثية كعناصر رئيسية، حيث تمثل هذه جزءاً كبيراً من هويتها. وقد عززت مدينة بروج صورتها الإيجابية باعتبارها «متحفًا في الهواء الطلق» (الصورة 7) أو «متحفًا تقليدياً كلاسيكيّاً قديماّ» (الصورة 8) (Garcia and Cox, 2013, 131). غير أنها لم تنجح في إضافة عنصر ثقافي معاصر إلى صورة المدينة، كما كان هدف المدينة عند تقديم العطاء لاستضافة الحدث. أمّا اجتماعياً واقتصادياً، فقد طوّرت مدينة بروج برامج تدريبية موجهة إلى الفئات المستبعدة اجتماعياً، من أجل تحسين مهارات المشاركين وثقتهم ودعم شبكاتهم الفنية والاجتماعية، وبالتالي مساعدتهم في العثور على عمل.

وكانت مدينة بروج ناجحة في جذب حوالي 1.6 مليون زائر، شاركوا مباشرة بحضور فعاليات عاصمة الثقافة الأوروبية عام 2002، (Palmer/Rae Associates, 2004).

الصورة (7) تمتاز مدينة بروج بالحفاظ على الأبنية الأثرية.

المصدر 7

الصورة (8) غنى المدينة بالأبنية من عصور مختلفة.

المصدر 8

مدينة ماتيرا (إيطاليا) Matera

تتمثل أهداف برنامج عاصمة الثقافة 2019 لمدينة ماتيرا، والتي تعرف بمدينة الحجر (الصورة 9)، في استخدام الثقافة كدافع لتصوّر مستقبل متجدد، وتعزيز تعداد وتنوّع المواطنين الذين يشاركون بالنشاطات الثقافية، وزيادة الروابط مع أوروبا، والانخراط في برنامج لبناء قدرات العاملين الاجتماعيين والثقافيين، وبناء مرافق ثقافية أساسية وبنى تحتية حديثة ومستدامة، وتعزيز الرؤية الدوليّة للمدينة وإمكاناتها السياحية (Ivona et al. 2019).

كان قلة عدد المرافق الثقافية أحد التحديّات الرئيسية التي واجهتها المدينة في تطوير وتنفيذ برنامجها، حيث تفتقر المدينة إلى المساحات والبنية التحتية الثقافية التي يمكن أن تستضيف أحداثاً كبيرة. ولمواجهة ذلك، حددت المؤسسة الثقافية المسؤولة عن الحدث المواقع المتاحة في المدينة والمنطقة، وأدرجَتْ حوالي 400 مكان يمكن استخدامه في المناسبات الثقافية، وقامت بترميم وإعادة استخدام مبنى

Cava del Sole، وهو موقع تاريخي لمقلع أحجار مهجور بالقرب من المدينة، وتحويله إلى منطقة متعددة الوظائف. يتميز Cava del Sole، الذي افتُتِحَ في كانون الثاني 2019، بقاعة عرض قادرة على استضافة ما يصل إلى 1000 شخص (الصورة 10)، وساحة خارجية مفتوحة لحضور 7000 شخص وعدد من المرافق الأخرى للأنشطة الثقافية والإبداعية (Fox et al. 2020). أكّد شعار ملف التقديم لعاصمة الثقافة «المستقبل المفتوح» (Open Future) على إمكانية الجمع بين الخبرة العلمية والتكنولوجية، وبين التميّز الإبداعي الذي يعتبر سمة مميزة للمهارة اليدوية للشعب الإيطالي. كان يأمل المسؤولون عن

ملف ماتيرا 2019، في مستقبل يمكن فيه للمدينة أن تجمع بين تقاليدها والتراث المعماري والثقافي المميز مع دورها الجديد كمكان للقاء الإيطاليين والأوروبيين والزوار من جميع أنحاء العالم (Ivona et al. 2019). تعتبر مدرسة التصميم المفتوح (Open Design School)، التي تأسست خلال الحدث، أول مدرسة تصميم أوروبية تعتمد على مبادئ "الثقافة المفتوحة"، حيث جمعت بين المؤلفين والمصممين والحرفيين والخريجين والطلاب والمهنيين تحت سقف واحد. تهدف هذه المدرسة إلى تحويل مدينة ماتيرا ومنطقة بازيليكاتا إلى فضاء للابتكار في الفنون والعلوم والتقنيات (Fox et al. 2020)، وتعمل كمختبر يستطيع فيه المواطنون والمشّغلون الثقافيون تصميمَ وتطويرَ مستلزمات العرض المسرحي وغيرها من المواد المستخدمة في تنفيذ البرامج الثقافية.

قدمَتْ المدينة خلال الحدث أكثر من 1300 فعالية، حدث الكثير منها في الفراغات العامة التي تمّ تأهيلها (الصور 11 و12)، وتمكنت من جمع أكثر من 490.000 مشارك محلي وأجنبي (Chávez, 2021). ويبدو أن الانفتاح الدولي لماتيرا من خلال استضافة الحدث قد أدى إلى زيادة كبيرة في السياحة الدولية، وازداد عدد السائحين الأجانب خلال الفترة 2012 و2019 بنسبة 161٪ (Fox et al. 2020, 11).

الصورة (9) مشهد لماتيرا مدينة الحجر التاريخية. المصدر 9

الصورة (10) المسرح المكشوف في المقلع الحجري. المصدر 10

الصورة (11) تاهيل الفراغات العامة لاستقبال الاحتفالات.

المصدر 11

الصورة (12) استخدام الفراغات العامة للفعاليات الفنية.

المصدر 12

6-3- المدن ذات الاقتصاد القوي نسبياً، الراغبة في تعزيز وضعها الثقافي:

مدينة غراتس (النمسا) Graz

استثمرت مدينة غراتس عام 2003 الكثير في موضوع التسويق والترويج والاتصال. كان لدى غراتس عجز في البنية التحتية الثقافية، ثمّ تقرر إنشاء متحف للفن الحديث، لأن السياسيين أدركوا أن استضافة عاصمة الثقافة عام 2003 فرصةً كبيرةً، حيث تركّز أوروبا والعالم انتباههم على غراتس، وبالتالي يتعين على المدينة تقديم أداء جيد والاستفادة من الإمكانيات المادية لتمويل المشاريع الثقافية (Schrempf, no date). بُنيَتْ العديد من المرافق الثقافية في المدينة مثل Kunsthaus كونستاوس، متحف الفن

المعاصر في المركز التاريخي للمدينة (الصورة 13 و15)، من تصميم بيتر كوك وكولن فورنييه Peter Cook and Colin Fournier، والذي يوصف من قبل السكان المقيمين بأنه "الكائن الفضائي الصديق" 'friendly alien' بالإضافة إلى إنشاء الجزيرة العائمة الاصطناعية Murinsel على نهر مور Mur (الصورة 14)، من قِبَل فنان التجهيز في الفراغ الأميركي والمهندس المعماري فيتو أكونشي (Bianchini, Albano Vito Acconci and Bollo, 2013). تمّ بناء الأماكن الجديدة الناتجة عن استضافة غراتس للحدث مثل مركز الأدب، ومتحف الأطفال، وأماكن الحفلات الموسيقية والأداء وغيرها من الأماكن، من خلال الشراكات بين القطاعين العام والخاص، وساهمت في تحسين مكانة غراتس كموقع للأحداث الثقافية في المستقبل ضمن سوق تنافسية عالمية للثقافة.

كانت الزيادة في عدد الزوار تأثيراً مهمّاً للمشروع، حيث زاد عدد الإقامات الليلية بنسبة 26٪. واستفاد الشباب كثيراً من الفرص والعلاقات والتواصل مع المدن الأخرى في أوروبا (Schrempf, no date). ويتمثّل التأثير الأكثر إيجابية في تمييز غراتس على خريطة أوروبا كمدينة منفتحة للغاية، ومركزاً للفنون والثقافة. مع عام عاصمة الثقافة الأوروبية، شعر أهل المدينة بالفخر بمدينتهم والبرنامج، والفخر بأن المدينة كانت في بؤرة التركيز الدولية. تجمع غراس بين المعاصرة والحداثة والحفاظ على التقاليد مع التأكيد على الصناعة الإبداعية كإحدى الاستراتيجيات الاقتصادية. إنّ اللوحة الجدارية في محطة السكك الحديدية الرئيسية (الصورة 15)، للفنان النمساوي بيتر كوجلر Peter Kogler هي أحد مشاريع الحدث. تمّ التخطيط لها في البداية كمنشأة مؤقتة، ولكن بعد ردود الفعل الإيجابية قرر مسؤولو المدينة ترك اللوحة الجدارية بشكل دائم (Arandjelovic, 2015). منذ عام 2013 أصبحت مدينة غراتس عضواً لشبكة اليونسكو للمدن المبدعة كمدينة للتصميم City of Design.

الصورة (13) مبنى كونستاوس Kunsthaus متحف الفن المعاصر. المصدر 13

الصورة (14) الجزيرة العائمة الاصطناعية Murinsel على نهر مور. المصدر 14

الصورة (15) مبنى كونستاوس Kunsthaus متحف الفن المعاصر ضمن المركز التاريخي. المصدر 15.

الصورة (16) اللوحة الجدارية في محطة السكك الحديدية الرئيسية للفنان النمساوي بيتر كوجلر. المصدر 16

6-4- المدن الهامشية جغرافياً و/أو سياسياً:

مدينة لشبونة (اسبانيا) Lisbon

استخدمت لشبونة لقب عاصمة الثقافة الأوروبية 1994 للإشارة إلى بقية مدن القارة الأوروبية بأنها عاصمة دولة أوروبية ديمقراطية حديثة، بعد عقدين من ثورة عام 1974، والتي أنهت ما يقرب من 50 عاماً من الأنظمة الاستبدادية اليمينية في البرتغال (Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 520).

أصبح مركز بيليم الثقافي Belém الذي اكتمل بناؤه في عام 1993 (الصورة 17 و18)، وكذلك جسر فاسكو دا غاما Vasco da Gama Bridge، الذي اكتمل في عام 1998 (خلال إكسبو 98 بعد حدث العاصمة الأوروبية للثقافة) رمزَين هامَين على المستوى العالمي للتحديث وإعادة الأحياء المكاني الفيزيائي للعاصمة البرتغالية.

الصورة (17) مركز بيليم الثقافي Belém. المصدر 17

الصورة (18) الحديقة المجاورة لمركز بيليم الثقافي. المصدر 18

كان من بين تطلعات عاصمة الثقافة الأوروبية لشبونة 1994، زيادة إبراز الأماكن والأنشطة الثقافية القائمة وتشجيع جمهور جديد. وشملت الأنشطة تجديد المباني ذات التراث الثقافي الهام، مع نهج يعتمد على المسابقات المعمارية. وتمّ في سياق برنامج عاصمة الثقافة 1994 إجراء مسابقة معمارية واستثمار الأموال لتجديد وإعادة تأهيل مبنىColiseu de Recreios، وإضافة مجموعة من المرافق الجديدة ومقاعد جديدة في القاعة الرئيسية مع تباعد أكبر بين المقاعد التي كانت غير مريحة برأي المنظمين.

بُنيَ Coliseu de Recreios في أواخر القرن التاسع عشر، ويتضمن قاعة للحفلات تقدّم مجموعة متنوعة من الأنشطة وتحتلّ مكانة مهمة تاريخياً في الحياة الثقافية في لشبونة. مع نهاية القرن العشرين، تدهور هيكل المبنى وتحوّلت الأنشطة داخل المبنى من نشاطات ثقافية تقليدية إلى ممارسات ترفيهية مختلفة.

ساهم الحدث في تأهيل المبنى، وارتفعت قيمة النشاط الثقافي الجديد كنتيجة لذلك التجديد (الصورة 19 و20)، لكنّ المكان أصبح أقل وصولية إلى مجموعة متنوعة من الجماهير التي جذبها المكان بأجوائه التاريخية الشعبية قبل الترميم. وهكذا ضاعت فرصة التشاركية الثقافية، وفقد الجمهور العام التجربة المكانية السابقة الحميمية في المقاعد الضيقة القديمة (Garcia, and Cox, 2013) حيث كانوا يتبادلون الحوار ويتم تمرير المعاطف والسجائر فيما بينهم أثناء العرض.

الصورة (19) مبنىColiseu de Recreios مع محيط المدينة. المصدر 19

الصورة (20) إعادة تصميم وتجديد مبنى Coliseu de Recreios المصدر 20

مدينة بيكس (هنغاريا) Pécs

أنفقت مدينة بيكس Pécs في عام 2010، 138 مليون دولار على أعمال البنية الرئيسية الثقافية (Bianchini, Albano and Bollo, 2013). وشملت هذه المشاريع إعادة بناء شارع المتحف Museum Street، ومبنى مركز كودالي Kodály Centre للحفلات والمؤتمرات (الصور 21 و22)، الذي افتتح في كانون الأول 2010 لاستضافة حفلات موسيقية مرموقة وتوفير مرافق أفضل للمنظمات المحلية، ولطلاب معاهد الموسيقى، بالإضافة إلى إنشاء مكتبة جنوب ترانسدانوب الاقليمية South Transdanubian Regional Library (الصور 23 و24 و25 و26)، ويؤكد التصميم الحديث لهذين المبنيين على أهمية استخدام الأبنية الصرحية من أجل تغيير صورة المدينة. كما تمّ إنجاز مركز المعرفة Knowledge Centre وإنشاء حي ثقافي في زولناي Zsolnay في إيلول 2010.

يرتبط استدامة الحدث في بيكس 2010 ارتباطاً وثيقاً بمشاريع البنية التحتية والمرافق الثقافية التي تم بناؤها، بحيث تتمتع البنية الثقافية الجديدة بالقدرة على زيادة عدد ونوعية العرض الثقافي في المدينة على المدى الطويل. وبالإضافة إلى الأثر الاقتصادي لهذه المشاريع، ازدادت الزيارات السياحية خلال عام الحدث بمقدار 27,5% بالمقارنة مع 2009 (Rampton et al., 2011). كما تحققت بعض الآثار الاجتماعية والاقتصادية من خلال مشاريع تركّز على التدريب وإدماج الشباب في سوق العمل. وهكذا حققت المدينة من خلال الحدث نجاح في التنمية الاجتماعية للمدينة، وفي توسيع مشاركة المواطنين في الثقافة، ليس فقط في بيكس ولكن أيضاً في هنغاريا ككل. وبحسب استطلاعات الرأي للمواطنين الهنغاريين، اعتبر 56% منهم أن بيكس المدينة الثانية من حيث الأهمية الثقافية بعد بودابست (Palmer/Rae Associates, 2004).

الصورة (21) مبنى مركز كودالي Kodály Centre للحفلات والمؤتمرات. المصدر 21

الصورة (22) مبنى مركز كودالي Kodály Centre للحفلات والمؤتمرات. الصورة 22

الصورة (23) مكتبة جنوب ترانسدانوب الاقليمية South Transdanubian Regional Library المصدر 23

الصورة (24) مكتبة جنوب ترانسدانوب الاقليمية South Transdanubian Regional Library المصدر 24

6-5- المدن متعددة الثقافات:

مدينة روتردام (هولندا) Rotterdam

تمتاز روتردام، كمرفأ هام ومركز نقل رئيسي، بالحيوية نتيجة لوجود التعددية الثقافية، ولطالما كانت روتردام وجهة جذابة للمهاجرين من جميع أنحاء العالم، وهي موطن لأكثر من 170 جنسية، وأكثر من نصف سكانها لديهم خلفية ترتبط بالهجرات والتنقل. يعكس شعار الحدث "روتردام مدن عديدة" 'Rotterdam is many cities' في 2001، التنوّع العرقي الكبير في النسيج الاجتماعي للمدينة، فضلاً عن جوانب أخرى من تاريخ روتردام (Richards and Palmer, 2010). وقد ارتكز هذا الحدث على تطوير المرافق الثقافية، رغم عدم وجود توافق سياسي بين الأحزاب بشأن قيمة الاستثمار في مشاريع التجديد المرتكزة على الثقافة، بما في ذلك إنشاء حي للمتاحف وتحسين المباني، فضلاً عن إنشاء مركز جديد للهندسة المعمارية، والاستثمار في المشاريع الكبرى مثل جسر كالاترافا Calatrava (الصورة 27) والمباني الأيقونية للمهندسين المعماريين "النجوم" (الصورة 28) على الواجهة البحرية (Evans & Shaw, 2004). وهكذا أثرّ الحدث على ثقة المطوّرين العقاريين وحفّز إنشاء بعض المشاريع الثقافية الرئيسية وكان جزءاً من عملية إعادة إحياء بعيدة المدى. تُمثّلُ استضافة حدث عاصمة الثقافة الأوروبية في مدن الموانئ كمدينة روتردام عام 2001 أو مرسيليا عام 2013 أمثلة جيدة على إعادة الإحياء التدريجي للمواقع الرئيسية والقطاعات الاقتصادية، بحيث لا تشكّل أهداف عاصمة الثقافة الأوروبية سوى جزءاً من عملية إعادة الإحياء بعيدة المدى التي تتبناها هذه المدن.

الصورة (25) جسر كالاترافا. المصدر 25

الصورة (26) المباني الأيقونية على الواجهة البحرية. المصدر 26

من حيث تأثيرات الزوار، شهدت مدينة روتردام ارتفاعاً بنسبة 11% في تصنيفها الثقافي. تم تصنيفها في عام 2001 لتكون من أفضل خمس وجهات ثقافية بنسبة 8% من الزوار في عام 2001 مقارنة مع نسبة 3% فقط من الزوار في عام 1999، وارتفعت من المركز العشرين إلى المركز الخامس عشر بين 22 مدينة ثقافية أوروبية في تقييم عام 2003 (Evans & Shaw, 2004).

7- المناقشة: أبعاد التنمية المحلية وتأثير استضافة عاصمة الثقافة الأوروبية

يصعب أحياناً تحديد أبعاد التنمية المحلية الفيزيائية والاقتصادية والاجتماعية بشكل منفصل لكونها متشابكة. ويمكن إدراك هذه الآثار أكثر في حالة المدن التي استخدم

فيها واضعو السياسات، المناسبات الثقافية كجزء من استراتيجية الاستجابة للتدهور الصناعي وإعادة الهيكلة الاقتصادية على نطاق أوسع، وحيث كانت هناك حاجة قوية إلى التغيير.

على الرغم من أن هناك وفرة في الأهداف الواردة في الوثائق التي أعدتها عاصمة الثقافة الأوروبية فيما يتعلق بالبعد الاجتماعي، فمن الصعب إيجاد دليل قوي على الآثار التنموية الاجتماعية، استناداً إلى دراسات تقييمية دقيقة (Bianchini, Albano and Bollo, 2013). توضّح الأمثلة السابقة عدداً من الآثار الناتجة عن استضافة الحدث. ويتضمن الجدول (2) أبعاد التنمية المحلية المكانية الرئيسية على وجه الخصوص التي تم عرضها. ومن الملاحظ اختلاف الأولويات بحسب السياق، ولكن الآثار الفيزيائية موجودة في كافة المدن، وهي التي تعتبر غالباً أحد أهم الآثار بعيدة المدى للحدث إلى جانب الآثار الثقافية.

الجدول (2) ملخص للآثار، وخاصة الفيزيائية، الناتجة عن الحدث في الأمثلة السابقة

السياق العام	المدينة	النقاط الهامة
المدن التي تستجيب للانحدار الصناعي وإعادة الهيكلة الاقتصادية	**جنوى**	• تجديد وتحسين صورة المدينة على المستوى الدولي والوطني • نهج تشاركي في تنظيم الحدث والفعاليات • إنشاء مرافق ثقافية جديدة • أدى ترميم بعض المباني وتأهيل المركز التاريخي إلى تسجيله ضمن مواقع التراث العالمية لليونسكو 2006
	ليل	• التوجه العالمي للاستراتيجية الثقافية (نحو الصين والهند وغيرهما) • تأهيل وترميم المباني وإعادة الاستخدام بوظائف جديدة ثقافية • إنشاء مراكز ثقافية صغيرة موزعة ضمن المدينة ومفتوحة للجمعيات الفنية والمبادرات الثقافية المحلية • تعتبر مثالاً في الأثر بعيد المدى من خلال برنامج Lille 3000
المدن التراثية	**بروج**	• تعزيز صورتها التراثية (متحف مفتوح) • لم تستطع إضافة عناصر ثقافية معاصرة لصورتها • تطوير برامج تدريبية للشباب لتحسين المهارات للحصول على فرص للعمل
	ماتيرا	• تأهيل واستخدام حوالي 400 موقع من أجل الحدث • تأهيل موقع مهجور (مقلع حجري قديم) • الجمع بين الخبرة العلمية والتكنولوجية وبين التميّز الابداعي • الجمع بين تقاليدها وتراث المعماري والثقافي المميز مع دورها الجديد كمكان للقاء الإيطاليين والأوروبيين والزوار من أنحاء العالم
المدن ذات الاقتصاد القوي نسبياً، الراغبة في تعزيز وضعها الثقافي	**غراتس**	• إنشاء مرافق ثقافية جديدة منها متحف الفن المعاصر كمعلم مميز في المدينة • أصبح لها موقع هام في سوق تنافسية عالمية للثقافة • الجمع بين المعاصرة والحداثة والحفاظ على التقاليد • التأكيد على الصناعة الإبداعية كإحدى الاستراتيجيات الاقتصادية • منذ 2013 أصبحت عضواً في شبكة اليونسكو للمدن المبدعة كمدينة للتصميم
المدن الهامشية جغرافياً و/أو سياسياً	**لشبونة**	• أعطت صورة جديدة كعاصمة دولة أوروبية ديمقراطية حديثة • تبني نهج يعتمد على المسابقات المعمارية • تجديد وترميم مبان تراثية لكن مع فقدان التجربة المكانية الشعبية
	بيكس	• إنشاء بنية ثقافية جديدة ومتنوعة (متحف ومركز للمؤتمرات ومكتبة وحي ثقافي) • زيادة كمية ونوعية العرض الثقافي للمدينة على المدى الطويل • الاهتمام بالتدريب وادماج الشباب في سوق العمل • توسيع مشاركة المواطنين في الثقافة في هنغاريا ككل
المدن متعددة الثقافات	**روتردام**	• بعكس شعار "روتردام مدن عديدة" التنوع العرقي الكبير في النسيج الاجتماعي • الاستثمار في المشاريع الكبرى ومباني المعماريين "النجوم" على الواجهة البحرية • اعتبار أهداف عاصمة الثقافة الأوروبية جزءاً من عملية إعادة الإحياء بعيدة المدى

		• من أفضل خمس وجهات ثقافية في عام الحدث 2001

تذكر معظم الدراسات الآثار التنموية الإيجابية الناتجة عن الحدث، لكن لا تخلو نتائج استضافة عاصمة الثقافة الأوروبية من وجود آثار سلبية في مختلف الأبعاد التنموية (الفيزيائية والاقتصادية والاجتماعية)، حيث يمكن أن تتعارض نتائج بعض الاستراتيجيات والأهداف مع غيرها.

7-1- الآثار الإيجابية في الأبعاد المختلفة للتنمية

البعد الفيزيائي

كان لبعض حالات التحوّلات الفيزيائية في المدن صلة مباشرة بالحدث، وفي حالات أخرى، كان لها علاقة بالمشاريع التي بدأت بالفعل قبل تقديم العطاءات للحصول على لقب عاصمة الثقافة الأوروبية، والتي تم استباق إنجازها بسبب الحدث. وقد حاول واضعو السياسات العمرانية في معظم عواصم الثقافة الأوروبية إنشاء مرافق ثقافية جديدة لجذب الزوار وتعزيز صناعة الخدمات الاستهلاكية المحلية. وتعتبر المدن مثل غلاسكو 1990، وبورتو 2001، وليل 2004، وليفربول 2008، وستافانجر 2008 أمثلة على الاستثمار في الساحات العامة الجديدة والبنية الأساسية (النقل، ومراكز المؤتمرات، والمباني الثقافية)، والتي شجعت عمليات التجديد التي تقودها الملكية Property-led regeneration (Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 521).

استخدمت عدة عواصم ثقافية أوروبية بنية ثقافية موجودة في مركز المدينة كأداة لزيادة جاذبيتها السياحية إلى أقصى حد. فقد طوّرت ليفربول 2008 مشاريع ضخمة تقع على الضفة المائية التاريخية، بما في ذلك مركز إيكو ليفربول Echo Arena Liverpool ومركز BT للمؤتمرات، وهو مكان رئيسي للمؤتمرات وفنون الأداء، وتبلغ سعته الإجمالية حوالي 11000 ومتحف ليفربول Museum of Liverpool، الذي اكتمل في عام 2011 (Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 521). ويعتبر مثال ليل 2004 حيث تم إنشاء مساحات ثقافية شعبية جديدة (Maisons de Folies) موزعة على مختلف أحياء المدن، وتلبي احتياجات المجتمعات المحرومة اقتصادياً بالتعاون مع مراكز الفنون المحلية القائمة، مثالاً جيداً لإيجاد طرق بديلة للتفكير في تنمية الهياكل الأساسية الثقافية المستدامة التي تخدم المجتمعات المحلية وتشجع المشاركة المجتمعية في الثقافة مما يعزز الهوية المحلية (Garcia, Cox, 2013).

البعد الاقتصادي

تشير التقارير النهائية للتقييمات اللاحقة للحدث، إلى العديد من الآثار الاقتصادية في عواصم الثقافة، مثل زيادة عدد الأشخاص الذين يمكنهم الوصول إلى المبادرات الثقافية، والنمو في البنية التحتية الثقافية من خلال تزايد حضور الفنانين والأنشطة والمرافق الثقافية، وفي بعض الحالات من خلال إنشاء "أحياء ثقافية" أو أحياء الفنانين، وزيادة عدد الأشخاص العاملين في القطاع الثقافي من خلال إنشاء مشاريع وفرص عمل جديدة في القطاع الثقافي واكتساب مهارات جديدة، وتطوير الصناعات الإبداعية والثقافية (Nermond, Lee and O'Brien. 2021)، كما في حالة مدينة غراتس في النمسا. وينتج عن ترميم التراث أو بناء مرافق ثقافية جديدة زيادةً في قيم الأراضي والممتلكات، والإيجارات كما في حالة مدينة بروج في بلجيكا. ويتمثّل التأثير القوي في جذب استثمارات جديدة تحفزّها الصورة الخارجية المعزَزَة للمدينة، وفي تحفيز نمو السياحة المحلية والدولية وما يتبعها من زيادة في الصناعات الثقافية والسياحية وخلق فرص العمل في المجال السياحي.

البعد الاجتماعي

تضمنت برامج عواصم الثقافة الأوروبية في بعض الحالات مشاريع تجديد اجتماعية مبتكرة وطموحة. تتراوح الأهداف بين تعزيز التماسك المجتمعي، والحد من الجريمة والتخريب وغير ذلك من أشكال السلوك المعادي للمجتمع، وتحقيق تحسينات في الأداء التعليمي المحلي، ومستويات الرفاه (Garcia, Melville, and Cox, 2010). ويمكن تحديد بعض هذه الأهداف الأساسية وكيفية تطبيقها في المدن:

توسيع نطاق المشاركة في الأنشطة الثقافية، والاستفادة من الدور المحتمل لهذا الحدث في تعزيز التماسك الاجتماعي والتنمية المجتمعية: لقد سعى العديد من المنظمين إلى تحقيق ذلك من خلال تحسين قدرات فرق تنظيم الحدث على إقامة صلات بين الفنون المهنية والجوانب الأوسع للثقافة المحلية وجوانب التراث الشعبي غير المادي، مما عزز وصول الثقافة إلى الجميع على اختلاف اهتماماتهم كما حدث في مدينة بكس. وكان ذلك مثلاً أحد الأهداف الرئيسية لمدينة ليفربول لعام 2008 في برنامج المجتمعات الإبداعية، وهو "خطة للفنون العامة والمجتمعية تبلغ قيمتها 11 مليون جنيه استرليني، تعمل في الفترة من عام 2004 إلى عام 2008 والمخصصة للمشاركة المحلية في العاصمة الأوروبية للثقافة في ليفربول" (Garcia, Melville, and Cox, 2010, 15).

تعزيز الاندماج الاجتماعي واحترام تعدد الثقافات والانفتاح نحو التنوع الثقافي: ومن الأمثلة على ذلك مدينة روتردام ومدينة أنتويرب Antwerp 1993 وهي مثال لنسيج متعدد الثقافات (بما في ذلك المجتمعات التركية، والمغربية، وأوروبا الشرقية، ...) وتاريخها يؤكد على التبادل باعتبارها مرفأً عالمياً. كان أحد أهداف برنامج أنتويرب هو تحفيز النقاش حول دور الفن في المجتمع، وكذلك في سياق الحروب التي بدأت عام 1991 في يوغوسلافيا (Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 523). وقد تمّ ذلك من خلال مجموعة متنوعة من المشاريع الفنية

تحفيز المناقشة العامة والحوار والمشاركة: نجحت في ذلك العديد من برامج عواصم الثقافة الأوروبية من خلال تنشيط مجال عام محلي للنقاش النقدي حول ماضي المدينة وحاضرها ومستقبلها (Bianchini, Albano and Bollo, 2013)، كما حدث في مدينة ماتيرا، واستخدام عمليات التخطيط التشاركي ورسم الخرائط الثقافية، وتحليل الموارد الثقافية المميزة للمدن.

7-2- الآثار السلبية في الأبعاد المختلفة للتنمية

تتداخل الأبعاد المختلفة الناتجة عن استضافة الحدث ولكن يمكن أن نميّز بعض الآثار السلبية كما يلي:

البعد الفيزيائي

تتضمن الآثار في كثير من الأحيان آثاراً سلبية، مثل ارتفاع أسعار السلع الأساسية والمضاربة العقارية التي قد ترتبط بهذا الحدث، والأضرار البيئية مثل زيادة حركة المرور والتلوث، كما يتضح من تجربة اسطنبول عام 2010 والناجمة عن التنمية الموجّهة بشكل أساسي لدعم السياحة التي تجذبها الأحداث المميزة.

تتعرّض بعض المدن للنقد من حيث الطبيعة "التجميلية" لبعض المداخلات على البنى المعمارية والعمرانية في المدن ضمن أهداف تحفيز السياحة في بعض عطاءات عاصمة الثقافة، والتي قد تسعى إمّا إلى تجميد المناطق التاريخية في ماضٍ مثالي أو إلى تيسير وتسريع تنفيذ المشاريع العمرانية الضخمة نتيجة توليد

الشعور بالإلحاح للحصول على اللقب. ويعاني السكان أحياناً من آثار التحوّل السياحي الكبير، مع زيادة كبيرة في الإيجارات أوتحويل العديد من المنازل إلى مطاعم ونُزُل (Broudehoux, 2013). ويؤدي هذا إلى فقدان الثقافة المحلية، التي كان من المقرر الحفاظ عليها، كما في حالات متنوعة مثل لشبونة 1994 عند ترميم وإعادة تأهيل مبنى (Coliseu de Recreios)، وتنشأ مكانها أماكن وفراغات هي "منصات" stages سياحية كبيرة كجزء من استراتيجية تحسين الصور الخارجية دون الارتباط بالهوية المحلية.

يشجع تعدد المناسبات والمهرجانات، وبناء المباني الأيقونية المعمارية، وإعادة تأهيل الأماكن العامة وإعادة تصميمها، والتسويق والإعلانات حول الثقافة والمدينة التي تم تأهيلها وتجديدها، على الاستهلاك الثقافي للمشهد الاستعراضي spectacularisation للمدينة، حيث "يتحول كل ما يتصل بالثقافة إلى سلع" (Vaz, and Berenstein, 2006, 244). كما يوجد انتقاد في التركيز على المهندسين المعماريين النجوم لإعادة إحياء المناطق العمرانية في سياق الحدث، في حال كانت هذه الخطط أكثر تركيزاً على الترويج للمدينة كمساحة للاستهلاك، بما في ذلك الاستهلاك المعماري الصرحي، على حساب رعاية الإنتاج الثقافي أو المعماري المحلي.

البعد الاقتصادي

كثيراً ما ركّزت عواصم الثقافة أغلب جهودها على تمويل الأحداث والمشاريع التي تشكّل جزءاً من احتفال مدته عام كامل، مع منح المستقبل القليل من الوقت والاستثمار (Evans, 2006). ورغم الفوائد الكبيرة للاقتصاد المحلي وعدد الوظائف التي أسفرت في بعض الحالات عن الفعاليات غير أن هناك علامات استفهام هامة بشأن استدامة هذه الوظائف ونوعيتها.

من الملاحظ أنّ نمو السياحة في المدينة التي تستضيف الحدث، قد يسهم في خفض أعداد الزوار في مدن أخرى في نفس المنطقة أو البلد. إن التأثير الاقتصادي لحدث لينز عام 2009 مثلاً، سمح بتوليد وحماية حوالي 4600 وظيفة بين عامي 2005 و2011، غير أنّ الزيادة في بقاء السياح في لينز في عام 2009 بنسبة 9.5% تتناقص بشكل صارخ مع انخفاض الطلب في مدن أخرى في النمسا (Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 522).

وفي دراسة استقصائية من أنحاء مختلفة من مدينة ليفربول في عام 2009، بعد عام من عاصمة الثقافة، كانت نسبة المجيبين 56% الذين يعتقدون أن مركز المدينة هو الوحيد الذي استفاد من برنامج العاصمة الأوروبية للثقافة في ليفربول عام 2008 (Melville *et al.*, 2010). لقد استطاعت استراتيجية إعادة الإحياء المكاني الفيزيائي والاقتصادي بعيدة المدى لمدينة غلاسكو كعاصمة الثقافة عام 1990 معالجة التدهور الاقتصادي والبطالة اللذين سادا في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، ولكنها فشلت إلى حد كبير في معالجة الاختلالات المكانية في توزيع البنية الأساسية الثقافية والأنشطة الثقافية، وتركّزها في مركز المدينة (Bianchini, Albano and Bollo, 2013, 517)، ولم يستفِدْ منها سكان المناطق المحيطة والضواحي الذين يعانون من حرمان في الجانب الاقتصادي.

البعد الاجتماعي

كثيراً ما تكون هناك معارضة قوية لعاصمة الثقافة الأوروبية نتيجة الإهمال النسبي لبعد الإدماج الاجتماعي في العديد من الحالات، ويعتبرها العديد من السكان المحليين والناشطين المجتمعيين والعاملين في القطاع الثقافي كعملية تولّد المزيد من الاستبعاد الاجتماعي، ولا

توزَع فيها فوائد التجديد وفقاً لمعايير الإنصاف والعدالة الاجتماعية (Garcia, 2004; Mooney, 2004). وهناك نتيجتان تتكرران في أغلب الحالات: أولها مسألة التغيير في البنية الاجتماعية وطرد السكان الحاليين بشكل طوعي "gentrification" بسبب إعادة تقييم الممتلكات أو زيادة أسعار العقارات في المنطقة التي تشهد التغييرات والتحوّلات نتيجة هذه السياسات الثقافية العمرانية، وثانياً موضوع إضفاء الطابع الاحتفالي الاستعراضي spectacular على المدينة، الذي يشجع على الاستهلاك، وقلة المشاركة من بعض الطبقات التي تشعر أنها مستبعدة أو لا دور لها في عملية التغيير.

7-3- الإدارة الثقافية وإعادة الإحياء وفقاً للسياق

بينما تميل السياسات الثقافية التقليدية إلى التركيز على القطاعات كل على حدة، مثل سياسات تطوير المسرح والرقص والأدب والحرف وغيرها من أشكال النشاط الثقافي المحددة، فإن التخطيط الثقافي الناجح يعتمد على معرفة الكيفية التي يمكن بها لمجموعة الموارد الثقافية المتوفرة أن تسهم في التنمية المتكاملة لمكان ما، سواء كان حيّاً أو مدينةً أو منطقةً (Alexa, 2012). ظهر مصطلح التخطيط الثقافي في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي عندما واجهت المدن اقتصاديات متغيّرة. وأدمَجَ التخطيط الثقافي الفنون في جوانب أخرى من الثقافة المحلية وفي الحياة اليومية في المدينة كجزء من استراتيجيات التجديد العمراني الأوروبية. تتسم هذه العملية دائماً بحساسية شديدة للسياق المحلي. إن ما يصلح لمدن معينة لن يعمل تلقائياً في أماكن أخرى بالطريقة ذاتها. وهناك دائماً حاجة ماسة إلى تقييم الإجراءات المقترحة في ضوء خصائص السياق والمكان، بحيث تستخدم هذه المشاريع أو المداخلات العمرانية الموارد الثقافية استخداماً استراتيجياً ويكون هدفها الأساسي هو التنمية المحلية.

تسمح دراسة الممارسات الثقافية في عواصم الثقافة الأوروبية والمستندة إلى التخطيط الثقافي المرتكز على السياق المحلي إلى استكشاف الموارد التي يمكن أن تحقق الأهداف الرئيسية والتي يمكن تلخيصها بما يلي: الثقافة بمفهومها الواسع والصناعات الإبداعية والتراث الثقافي كمحرك للتنمية الاقتصادية المحلية والعمرانية، والإدماج الاجتماعي والابتكار والحوار بين الثقافات. وتؤكّد المفوضية الأوروبية أن أحد المعايير التي تؤخذ في الاعتبار لاختيار المدينة هو: "خطط تعزيز قدرة القطاعين الثقافي والإبداعي، بما في ذلك إقامة روابط بعيدة المدى بين القطاعات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في المدينة المرشحة" (European Commission Website)، وتَعتبرْ كلٌّ من المفوضية الأوروبية والمدن المقدمة للعطاءات البرنامجَ أداةً لتطوير اقتصادها الإبداعي.

يشكّل وجود الأنشطة الثقافية ونوعيتها عاملاً رئيسياً من عوامل جاذبية المدينة ومقياساً لنوعية الحياة. خلال سنة عاصمة الثقافة، تكون عدد الأنشطة التي تقدمها كل مدينة حاصلة على اللقب عادةً كبيراً ومتنوعاً ويمكن أن يتميز بنشاطات مستدامة، كتطبيقها في المجال التعليم مثلاً كما قدمت غالواي Galway (أيرلندا) في 2020-2021، إلى جانب برامجها الثقافية، برنامجاً للمدارس مع إنتاج بودكاست Podcast حول موضوعات اللغة والمناظر الطبيعية والهجرة (Chávez, 2021).

ساهم التنافس للحصول على اللقب واستضافة حدث العاصمة الأوروبية للثقافة في إعادة الإحياء والتنمية عندما كانت جزءاً من استراتيجيات وسياسات مكانية بعيدة المدى، وقد تمكّنت معظم العواصم من الاستثمار في مشاريع البنية التحتية الثقافية التي ستستمر بعد الحدث كما في غلاسكو 1990 وليل 2004 ومرسيليا 2013. كما وفّر لقب عاصمة الثقافة الأوروبية في كثير من الحالات،

مزيداً من الإلحاح وتحفيز أصحاب المصلحة وصانعي السياسات في المدينة، على إنجاز مشاريع رئيسية كبيرة في مجال البنى المعمارية والعمرانية الأساسية، لا سيما في مجال الثقافة والسياحة. إن التأثيرات ليس بالضرورة نتيجة مباشرة لمستويات الإنفاق، كما أنها تعتمد على استجابات الجهات الفاعلة السياسية والاقتصادية والثقافية والمجتمعية في المدينة لمبادرات وأهداف الأحداث ومدى توافقها مع المتطلبات المحلية (Evans, 2015).

على الرغم من التنوع الواسع في الأهداف والاستراتيجيات في المدن المضيفة، عادةً ما يتطلب المسار المشترك للثقافة والمدينة التنافسية وعلاقة الثقافة بالتجديد وإعادة الإحياء المعماري والعمراني أن يكون هناك تركيز على الهدف الاقتصادي، حيث تُستَخدم عبارات مثل «التنمية الاقتصادية» أو «المساهمة الاقتصادية» بشكل متكرر في العطاءات (Garcia and Cox, 2013). ومن ناحية أخرى، تقاوم المدن الصغيرة، ولا سيما تلك التي تتمتع بسمعة تاريخية أو تراثية مثل مدينة جنوى، فرض الرؤى الاقتصادية المعولمة Globalized والبنى المعمارية والعمرانية المعاصرة وتدفق الزوار، وتكافح من أجل مواجهة التنافسية للمدن الأكبر حجماً والعالمية.

8- الخلاصة: بين الأهداف والتطبيق

استخدمت العديد من المدن، في خضم التنافس العالمي، الأحداث الثقافية الضخمة لدعم استثمارات رأس المال والإيرادات وتعزيز السياحة من خلال توسيع إمكانياتها التنافسية على نطاق عالمي. وتمّ التركيز على إنشاء مكوّنات بنية تحتية جديدة ومرافق ثقافية وسياحية لاستضافة الأحداث وبالاعتماد أحياناً على المعماريين "النجوم" لبناء مبانٍ صرحيّة. وفي كثير من الحالات، يختار اليوم منظمو الأحداث الضخمة إعادة استخدام المرافق الحالية وتحويل مناطق المدينة المركزية وتجديد الأحياء. يمثّل هذا التحوّل في النموذج، بالنسبة للمدن الغنية بالتراث، فرصة لترميم التراث الثقافي المبني وإعادة تأهيل الأحياء التاريخية نظراً لتوفّر الميزانيات الكبيرة والإلحاح التنافسي، لكن يمكن بالمقابل أن يكون تهديداً يسبب ضياع الهوية وروح المكان.

إنّ أحد الأهداف الرئيسية لعواصم الثقافة الأوروبية هو تعزيز مساهمة الثقافة في التنمية بعيدة المدى للمدن، وهذا يؤكّد على الاهتمام الكبير الذي تمّ منحه للثقافة كمحفز للتنمية في سياسات المفوضية الأوروبية للثقافة والإبداع خلال العقود الماضية. ويكاد هذا اللقب في أهداف الاتحاد الأوروبي يشابه إلى حد ما وبطريقة مماثلة لتصنيف اليونسكو لمواقع التراث العالمي. الثقافة عنصر أساسي في حياة المدينة، لكونها أحد مقومات إقامة الصلة بين السكان والزوار، وبين مختلف القطاعات التي تساهم في عملية التجديد والتنمية وتحسين صورة المدينة ونوعية المعيشة. في مثال غلاسكو العاصمة الأوروبية للثقافة في عام 1990، أسهم الحدث في تغيير الصورة السابقة لمدينة ذات ماضٍ صناعي كبير، لكن مع مبانٍ مهجورة، إلى صورة نابضة بالحياة لمدينة من الإبداع الفني.

لاتزال مبادرة عاصمة الثقافة الأوروبية مبادرة ناجحة من أجل تحقيق التنمية المكانية المحلية. ويدلّ على ذلك العدد الكبير من المدن التي تقدم العطاءات للحصول على اللقب. وقد اقترحت المفوضية الأوروبية في عام 2013، توسيع نطاق المخطط حتى عام 2033، وأظهرت دراسة إحصائية بتكليف من المفوضية الأوروبية، أن 80٪ من الأشخاص المشاركين في تنظيم حدث عاصمة الثقافة بين عامي 1995 و2004 يعتبرونها الحدث الثقافي الأكثر فائدة للمدن، وأن اللقبَ حافزٌ للتنمية الثقافية وإعادة إحياء

البيئة المبنية للمدينة (Palmer/Rae Associates, 2004).

لقد ظهرت مبادرات مماثلة في مختلف أنحاء العالم، حيث أطلقت المنظمة العربية للثقافة والعلوم فكرة العاصمة العربية للثقافة كمبادرة من اليونسكو، والعاصمة الإسلامية للثقافة الذي تبنته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. وتمّ اختيار مدينة القاهرة كأول عاصمة عربية للثقافة في عام 1996، وكانت مدينة دمشق عاصمة عربية للثقافة عام 2008، وحصلت حلب على لقب عاصمة الثقافة الإسلامية عام 2006.

كما ظهرت العاصمة الأميركية للثقافة وعاصمة للثقافة في أمريكا الوسطى والجنوبية منذ عام. كما نفّذت كندا الفكرة في عام 2003، وانضمّت الولايات المتحدة الأمريكية إليها في عام 2009 (Garcia and Cox, 2013).

إن تنوّع الآثار المحتملة يخلق تحديّات في الجانب التطبيقي، نظراً لأن تأثير استراتيجية معينة تهدف إلى إعادة الإحياء العمراني مثلاً، من المرجح أن يكون مختلفاً وأحياناً يتضارب، من حيث التأثير الاجتماعي، عن تأثير استراتيجية تركّز على السياحة وجلب الاستثمارات. ولهذه الأسباب تتميّز بعض المدن في نجاحها في تحقيق أهداف معينة وتخفق في مجالات أخرى، ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها اختلاف السياق المحلي لكل مدينة. ويمكن الملاحظة أن الآثار الإيجابية تنتج عن رغبة المدن في التنافس من خلال مواردها الثقافية وبهدف التنمية المحلية بكافة أبعادها بينما تظهر الآثار السلبية نتيجة لضغوط العولمة التي تدفع نحو المنافسة والتوجّه إلى حصد الفوائد الاقتصادية وخاصة من قطاع السياحة دون النظر إلى الأبعاد الاجتماعية والبيئية.

تسمح الأمثلة المختلفة المذكورة في البحث باستكشاف أوليّ للتخطيط الثقافي والسياسات المكانية للتجديد المعماري والعمراني المرتكز على الثقافة ضمن مجال حدث عاصمة الثقافة الأوروبية، دون أن يكون الهدف الأساسي إجراء مقارنة مباشرة بين حالات متعددة، بل جمع المعلومات حول الآثار المكانية الفيزيائية في كل حالة من أجل فهم العلاقة والروابط بين المكان والحدث ضمن شروط سياق المدن التي استضافت الحدث. وتوفّر الأمثلة قاعدة أولية تمّ من خلالها عرض الآثار المختلفة ضمن سياقات هذه المدن وإمكانياتها. وهذا يؤكد على أهمية دراسة وتحسين سياسات تخطيط الأحداث الضخمة وإدارتها بالتوافق مع مبادئ التنمية المكانية متعددة الأهداف.

ويمكن من خلال ما سبق تحديد الآثار الإيجابية التالية للأبعاد المختلفة للتنمية كنتيجة لإجراء التقاطعات بين الأهداف المرجوة والمطلوبة من قبل المفوضية الأوروبية وبين التطبيق العملي للحدث من خلال الأمثلة والمؤشرات الإرشادية للبرنامج:

- تحفيز الديناميكيات الإيجابية للتنمية المحلية وإبراز االقدرة التنافسية الدولية للمدن الأوروبية،
- الإسهام في تعزيز سمعة المدينة ووضعها على الخارطة الثقافية ليس على المستوى الأوروبي فحسب بل العالمي،
- المساهمة في زيادة قدرة القطاع الثقافي وطموحه وفتح أبواب تعاون جديدة،
- المساهمة في تعزيز فرق العمل الثقافية الحكومية والخاصة وتأهيل العاملين في القطاع الثقافي ودعمهم على كافة المستويات،
- توفير فرص عمل في المجالات الثقافية وكذلك في مجال الإعمار وتنفيذ المشاريع، وقد يبدأ التفكير بذلك

منذ تقديم العطاء للحصول على اللقب، وقد يستمر بعد الحدث في المجال الثقافي،

- تنشيط مجال عام محلي للنقاش والتبادل الثقافي، والذي يمكن أن يكون حافزاً للرؤى والاستراتيجيات العمرانية في المستقبل، وعاملاً هاماً في محاولة إيجاد مخرج من الأزمات الاقتصادية والبيئية الحالية،
- تنويع الجماهير الثقافية المشاركة في الفعاليات وتنمية المعرفة الفنية والثقافية خلال الحدث،
- تشجيع المواطنين من مختلف الأحياء والخلفيات الاجتماعية على الانضمام إلى حوار منفتح عن مدينتهم ومستقبلها،
- تحسين تصوّرات المواطنين المحليين لمدينتهم وشعورهم بالفخر،
- زيادة التأثير الإيجابي على البنى المحلية المعمارية والعمرانية،
- المساهمة في الحفاظ على التراث المعماري والعمراني وإعادة تأهيله من خلال ترميم المباني والمراكز التاريخية،
- توفير فرصة لتمويل المشاريع الكبيرة سواء المعمارية أو العمرانية نتيجة لتوفّر الدعم المادي الأوروبي والمحلي،
- تقديم فرصة للمعماريين المحليين لتنفيذ مبانٍ مميزة في بعض المدن من خلال المسابقات، أو اللجوء إلى المعماريين النجوم لتصميم منشآت ثقافية مميزة تضيف إلى تميّز المدينة معمارياً وعمرانياً،
- تحفيز السياحة المباشرة والمتوسطة المدى في نسبة كبيرة من المدن، مع ما تقدمه من إضافات للاقتصاد المحلي،
- المساهمة في النهضة التنموية المستقبلية وتعزيز موقع المدينة ضمن المنافسة العالمية السياحية،
- المساهمة في رفع نبض قلب المدينة الثقافي من خلال المشاركة في الإنتاج الثقافي سواء الرسمي أو الطوعي،
- زيادة النشاط الفني والثقافي على مدار السنة وبعد الحدث وزيادة الإيرادات من خلال استخدام المهرجانات لجذب السيّاح.

لقد توصّل البحث إلى إثبات الفرضية التي تتلخص في كون التنافس ضمن المدن الأوروبية يؤدي في معظم الحالات، كما توضح الأمثلة والمناقشة في الإطار التحليلي، إلى تنمية مكانية محلية. كما قدّم البحث الأمثلة عن كيفية تعامل المدن المختلفة من جهة لتحقيق أهداف الحدث لدعم صورة المدينة التنافسية على المستوى الأوروبي وكذلك عالمياً ومن جهة أخرى التعامل مع السياق المحلي للمدينة لتحقيق التنمية المحلية الفيزيائية والاقتصادية والاجتماعية المرغوبة.

يقترح البحث إجراء دراسات لاحقة حول الحدث الخاص بالعاصمة العربية للثقافة على نسق منهجية البحث، ويفتح المجال إلى دراسة معمقة تستند على دراسة أمثلة من المدن التي حصلت على اللقب بالمقارنة مع المؤشرات الإرشادية من أجل تطوير أدوات سياسية جديدة في تخطيط وتنفيذ الأحداث الثقافية الضخمة في المدن، وبحيث تساهم في الاستفادة من الفرص وتجاوز التحديات والتهديدات الناشئة وبما يضمن التنمية المحلية للمدن المضيفة.

وأخيراً يحاول البحث تقديم مجموعة من **التوصيات العامة لضمان التأثير بعيد المدى للحدث**، مع الأخذ بعين الاعتبار، ضرورة ربطها مع سياقها المكاني الخاص من أجل أن تكون مفيدة لمدن أخرى تسعى لاستضافة حدث ثقافي مميّز.

التوصيات:

- تحديد الموارد الثقافية وإمكانياتها في المستقبل من أجل إيجاد مواطن القوة الفريدة والمميزة التي يعتمد عليها التخطيط الثقافي،
- اعتماد رؤية أبعد من التركيز على سنة الحدث وتحليل التغيّرات والتأثيرات على مدى فترة زمنية أطول، حيث لا تشكّل الأحداث إلا فترة صغيرة نسبياً،
- ضرورة أن يكفل واضعو السياسات استمرار الجهود بعد الحدث بوقت طويل من أجل استدامة الآثار الإيجابية،
- بذل الجهود لتيسير الوصول والمشاركة من قبل جميع الفئات إلى جميع الفرص التي تسمح بها الأحداث،
- تجنّب الأحداث المميزة والفعاليات التي تحاول فرض أساليب حياة أو سلوكيات لا تناسب شرائح كبيرة من السكان،
- الاهتمام في الكيفية التي يمكن بها للثقافة أن تسهم على نحو أفضل في عملية التجديد وإعادة الإحياء، بدلاً من أن تصبح مجرد "مناسبة احتفالية" لفترة زمنية محدودة.

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

References

1. Alexa, Elena Lidia. (2012). **Using culture in defining city brands**, Conference Proceedings - International Place Branding Conference Special Edition: Roots – Politics – Methods, Utrecht, Netherlands, 20-21 January 2012. Manchester: UK. The Institute of Place Management. pp: 1-10
2. Arandjelovic, Biljana, (2015). **Graz, UNESCO City of Design and Historical Heritag**e, Cities, Vol.: 43. pp.: 78–91.
3. Bassem, Doha. (2019), **City Marketing & Urban Branding: A New Way to Identify Egyptian Cities through Creating Positive Public Mental Image Studying urban branding elements in the advertising Advertising Campaigns of Egyptian cities in the 21st century,** International Journal on The Academic Research Community Publication, pp: 1-17.
4. Bianchini, Franco, Albano Roberto and Bollo Alessandro. (2013). The regenerative impacts of the European City/Capital of Culture events, Edition: Michael Edema Leary, John McCarthy. **The Routledge Companion to Urban Regeneration**, New York: Routledge, pp: 515-525.
5. Bonakdar, Ahmad and Audira, Ivonne. (2020). **City Branding and the Link to Urban Planning: Theories, Practices, and Challenges**, Journal of Planning Literature, Vol. 35, No. 2. pp: 147-160.
6. Broudehoux, Anne-Marie. (2013). Neo-liberal exceptionalism in Rio de Janeiro's Olympic port regeneration, The regenerative impacts of the European City/Capital of Culture events, Edition: Michael Edema Leary, John McCarthy. **The Routledge Companion to Urban Regeneration**, New York: Routledge, pp: 458-468.
7. European Commission. (2018). **European Capitals of Culture (ECoC) 2020-2033, Annex 10 - Guidelines for the cities' own evaluations of the results of their ECOC**. Brussels: European Union. p. 14.
8. Evans, Graeme. (2001). **Cultural Planning, An urban renaissance?** London and New York, Routledge, p. 352.
9. Evans, Graeme. (2005). **Measure for measure: evaluating the evidence of culture's contribution to regeneration**, Urban Studies, Vol.:42, No.: 5/6, pp:1–25.
10. Evans, Graeme. (2006). Branding the city of culture: The death of city planning? Edition: Javier Monclus and Manuel Guardia. **Culture, Urbanism and Planning**. England and USA. Ashgate. pp: 197–213.
11. Evans, Graeme. (2015). Rethinking Place Branding and Place Making Through Creative and Cultural Quarters. Edition: Mihalis Kavaratzis, Gary Warnaby, Gregory J. Ashworth, **Rethinking Place Branding: Comprehensive Brand Development for Cities and Regions.** Switzerland. Springer International Publishing. pp: 135-158.

12. Fekete, David, Morvay, Szabolcs. (2020). **European Capital of Culture 2023 – Comparative Analysis of the Hungarian Candidate Cities**. Deturope, Vol.:12, No. 2, pp.; 84-104.

13. Fox, Tim. Mobilio, Luca. Pavlova, Assya. and Goffredo, Sergio. (2020). **Ex-post evaluation of the 2019 European Capitals of Culture – Executive summary**, European Commission, Brussels, p. 18.

14. Fox, Tim. and Rampton, James. (2019). **Ex-post evaluation of the 2018 European capitals of culture. Evaluation consortium for Education, Culture, Training and InnoVation.** Report, p. 144.

15. Garcia, Beatriz. (2004). **Cultural policy and urban regeneration in western European cities: lessons from experience, prospects for the future**. Local Economy. Vol.:19. No. 4. pp.:312 -326.

16. Garcia, Beatriz, Melville, Ruth. and Cox, Tamsin. (2010) **Creating an Impact: Liverpool's experience as European Capital of Culture, Liverpool: Impacts 08**, University of Liverpool and Liverpool John Moores University. p. 68.

17. Garcia, Beatriz and Cox, Tamsin. (2013). **European Capital of Culture: success strategies and long-term effect**. Directorate General for Internal Policies, Policy Department B: Structural and Cohesion Policies, European Union. p. 229.

18. Hall, Peter. (2000). **Creative cities and economic development**, Urban Studies, Vol.: 37, pp: 639–649.

19. Ivona, Antonietta. Rinella, Antonella and Rinella, Francesca. (2019) **Glocal Tourism and Resilient Cities: The Case of Matera "European Capital of Culture 2019"**. Sustainability, Vol. 11. pp.: 1-12.

20. Lille 3000. (2012) **lille3000: The Voyage Goes On**. http://www.lille3000.com/ (accessed 23 April 2022).

21. Melville, Ruth. Rodenhurst, Kate. Campbell, Peter. and Morgan, Ben, (2010). **Neighbourhood Impacts, Liverpool: Impacts 08**, University of Liverpool and Liverpool John Moores University. p.: 86.

22. Mooney, Gerry. (2004). **Cultural policy as urban transformation? Critical reflections on Glasgow, European City of Culture 1990**, Local Economy. Vol.: 19. No.: 4. pp.: 327–340.

23. Nermond, Oriane, Lee, Neil and O'Brien, Dave (2021). **Discussion Paper 2021/08: The European Capital of Culture: A review of the academic evidence**, London School of Economics and Political Science, University of Edinburgh, p. 25.

24. OECD, Organisation for Economic Co-operation and Development. (2018). **Culture and local development, Background document**, p. 58.

25. Palmer/Rae Associates, (2004). **European/Cities and Capitals of Culture: Study on the European cities and capitals of culture and the European cultural months (1995–2004),** Parts I, Brussels: European Commission. p. 260.

26. Pearce, Douglas G. (2001). **An integrative framework for urban tourism research**, Annals of Tourism Research, Vol. 28. No.: 4. pp.: 926–46.

27. Richards, Greg and Palmer, Robert. (2010). **Eventful Cities: Cultural Management and Urban Revitalisation,** Oxford: UK, Elsevier Limit, p. 526.

28. Richards, Greg. and Wilson, Julie. (2004), **The impact of cultural events on city image: Rotterdam, Cultural Capital of Europe 2001**, Urban Studies, Vol.: 41, pp: 1931–1951.

29. Sacco, Pier Luigi. and Tavano Blessi, Giorgio. (2007). **European Culture Capitals and local development strategies: comparing the Genoa and Lille 2004 cases**, Homo Oeconomicus, Vol.: 24, No.: 1, pp: 111–41.

30. Vaz, Lilian Fessler, and Berenstein, Jacques Paola, (2006). Contemporary Urban Spectacularisation. Edition: Javier Monclus and Manuel Guardia. **Culture, Urbanism and Planning**. England and USA. Ashgate. pp.: 241-254.

31. Zachary M. Jones, (2020). Chapter 2, Genoa 2004 European Capital of Culture, A cultural mega-event within a strategic vision for heritage development, (eds.) Davide Ponzini, Franco Bianchini, Julia Georgi-Nerantzia Tzortzi, and Joanna Sanetra-Szeliga. **Mega-events and heritage: the experience of five European cities**, International Cultural Centre, Kraków, pp.:19- 57.

المواقع الالكترونية

Chávez, Carolina Reyes. (2021). **European Capitals of Culture: More than just a title**? The euroculturer - European Politics, Culture and society in Focus, December 02, https://euroculturer.eu/2021/12/02/european-capitals-of-culture-more-than-just-a-title/ دخول الموقع 2 May 2022.

European Commission Website. European Capital of Culture. https://ec.europa.eu/programmes/creative-europe/actions/capitals-culture_en دخول الموقع 28 April 2022.

Schrempf, Eberhard, (no date). Impacts of Graz 2003, https://www.culturefighter.eu/large-cultural-projects/european-capital-of-culture-projects/impacts-of-graz-2003. دخول الموقع 6 May 2022.

مراجع الصور في الأمثلة

مدينة جنوى

المصدر 1 – المصدر 2

https://re.public.polimi.it/retrieve/handle/11311/1170855/615036/Jones2020b_reduced.pdf

مدينة ليل

المصدر 3

https://www.lille.fr/Le-Musee-de-l-Hospice-Comtesse/Infos-pratiques

المصدر 4

https://www.lille.fr/Nos-equipements/Palais-Rameau

المصدر 5

https://france3-regions.francetvinfo.fr/hauts-de-france/2013/01/10/lille-2004-un-exemple-pour-marseille-capitale-europeenne-de-la-culture-177799.html

المصدر 6

https://culturinthecity.com/lieux-partenaires/maison-folie-wazemmes

مدينة بروج

المصدر 7

https://www.oulu2026.eu/en/tour-through-europe/a-tour-through-europe-bruges-2002

المصدر 8

https://apetcher.wordpress.com/2016/10/19/european-capital-of-culture-2002-bruges

مدينة ماتيرا

المصدر 9

https://www.dw.com/en/matera-european-capital-of-culture-2019/a-46945902/ دخول الموقع 26_Avril 2022

المصدر 10 – المصدر 11 – المصدر 12

https://www.materawelcome.it/en/home/matera-capitale-europea-della-cultura-2019/ دخول الموقع 24 Avril 2022

مدينة غراتس

المصدر 13

https://www.contemporist.com/graz-art-museum/ دخول الموقع 20_Avril 2022

المصدر 14

https://architectuul.com/architecture/mur-island دخول الموقع 20 Avril 2022

المصدر 15 – المصدر 16

Arandjelovic, Biljana, (2015). Graz, UNESCO City of Design and Historical Heritage, Cities, Vol.: 43. pp.: 78–91.

مدينة لشبونة

المصدر 17 – المصدر 18

Carrancal, Maria Adelaide, (2019). Le development culturel à Lisbonne: quell impact pour les politiques d'aménagement stratégique ?, Sud-Ouest européan, Revue géographique des Pyrénées su Sud-Ouest, No. 27. pp : 39-52.

المصدر 19

https://commons.wikimedia.org/w/index.php?curid=75569007 دخول الموقع 10 May 2022

المصدر 20

https://www.eolisboa.com/event/coliseu-recreios/ دخول الموقع 10 May 2022

مدينة بكس

المصدر 21 – المصدر 22

https://www.archdaily.com/107400/kodaly-centre-epitesz-studio?ad_medium=gallery دخول الموقع 3 May 2022

المصدر 23 – المصدر 24

https://www.archdaily.com/166359/regional-library-and-knowledge-center-torok-es-balazs-epiteszeti-kft?ad_medium=gallery دخول الموقع 3 May 2022

مدينة روتردام

المصدر 25

https://photostockeditor.com/image/cityview-of-rotterdam-netherlands-image-free-110197 دخول الموقع 20 Avril 2022

المصدر 26

https://vimeo.com/21586035 دخول الموقع 20 Avril 2022